الفصل السادس

« العلماء والحياة الفكرية بمصر والشام »

obeikandl.com

نقاط الفصل السادس

١ ـ عوامل ازدهار الحياة الفكرية ومظاهر ازدهارها بمصر والشام .

أ ـ عوامل ازدهار الحياة الفكرية [عناية السلطة المملوكية بإنشاء المؤسسات العلمية .

ب ـ هجرة العلماء من شتى الأمصار إلى مصر والشام .

جـ ـ ازدهار الأوقاف فى العصر المملوكى .

د ـ ازدهار صناعة الورق وتجليد الكتب فى العصر المملوكى .

هـ ـ حُبّ المصريين والشاميين للعلم والمجالس العلمية .

٢ ـ العلماء والتأليف العلمى بمصر والشام .

أ ـ مؤلفات العلماء فى الفقه وأصوله .

ب ـ مؤلفات العلماء فى علم الحديث .

جـ ـ مؤلفات العلماء فى القراءات .

د ـ مؤلفات العلماء فى التفسير .

هـ ـ مؤلفات العلماء فى التصوف .

و ـ مؤلفات العلماء فى المنطق .

٣ ـ العلماء والتدريس والمؤسسات العلمية « بمصر والشام » .

أ ـ العلماء وتدريس علوم القرآن « التفسير ، القراءات » .

ب ـ العلماء وتدريس الفقه .

جـ ـ العلماء وتدريس علم الحديث .

٤ ـ العملاء والاجتهاد ومحاربة التعصب والجمود المذهبى .

أ ـ مهاجمة العلماء للفكر القائم على التقليد الأعمى للمذاهب الأربعة والتعصب لها .

obeikandl.com

ب ـ رفع لواء التجديد والاجتهاد فى الأحكام والحرية فى الفتوى بما يناسب ظروف المجتمع .

٥ ـ الخلافات الفكرية بين علماء الأشاعرة وعلماء الحنابلة .

أ ـ موضوعات الاتفاق والاختلاف بين علماء الأشاعرة والحنابلة .

ب ـ نماذج من التعصب الشديد بين الأشاعرة والحنابلة .

٦ ـ العلماء والمكتبات .

obeikandl.com

ازدهار الحركة الفكرية بمصر والشام فى العصر المملوكى

كانت مصر والشام فى عصر دولة المماليك أكثر العواصم الإسلامية ازدهارًا بالبحث والدرس وحملت مشعل الثقافة العربية الإسلامية، وحافظت عليها من خطر الضياع بعد أن ذوت مراكز العلم والتنوير فى معظم البلاد الإسلامية، خاصة بعد سقوط بغداد فى أيدى المغول، وتدميرهم لكنوز المخطوطات، وتعرض قرطبة فى الأندلس لحركة الاسترداد المسيحية[١].

ولقد تضافرت عوامل عدة أدت إلى ازدهار الحياة الفكرية بمصر والشام فى العصر المملوكى، ويأتى على رأس هذه العوامل عناية[٢] السلطة المملوكية بالحركة الفكرية، وتشجيعهم للعلم والعلماء، فلقد عنى الحكام المماليك عناية كبيرة بإنشاء المؤسسات العلمية، ورصدوا لتلك المؤسسات الأوقاف الضخمة للإنفاق عليها إنفاقًا دائمًا متصلًا، وزودوها بما تحتاج إليه من مكتبات غصت بنفائس الكتب فى العلوم المختلفة مثلما فعل السلطان المؤيد شيخ المحمودى[٣] «ت ٨٢٤هـ» صاحب المدرسة المؤيدية، والسلطان قايتباى[٤] «ت ٩٠١هـ»، كما كان بعض سلاطين المماليك على جانب كبيرًا من العلم والمعرفة كالسلطان المؤيد شيخ «ت ٨٢٤هـ» الذى تصدر للإقراء والدرس، حيث كان يحمل إجازة برواية «صحيح البخارى»، كما كان المؤيد شيخ كثير التعظيم لأهل العلم والإكرام لهم، كذلك كان الظاهر جقمق[٥] «ت ٨٥٧هـ» يُجلّ العلماء ويرفع من

---

(١) د. محمود محمد الحريرى «مصر فى العصور الوسطى» ص ٢٩٢، دار عين للنشر، ط ٣ (٢٠٠٣م).

(٢) يعزو المؤرخون المعاصرون ذلك لأسباب سياسية، تتمثل فى دعم نفوذهم السياسى لدى المصريين والشاميين بوجه عام ولدى العلماء بوجه خاص، انظر: د. محمد عبد الستار «نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدن القاهرة» ص ١٠١، د. محمد محمد أمين «تاريخ الأوقاف فى مصر فى عصر سلاطين المماليك» ص ٧٧ - ٨٨.

(٣) المؤيد شيخ: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ٣٧.

(٤) السلطان قايتباى: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ٢٢.

(٥) السلطان جقمق: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ١١.

مقامهم، ويبحث مع العلماء والفقهاء، ويلازم مشايخ القراءات، ويقرأ عنهم[1].

كذلك كان من عوامل ازدهار الحياة الفكرية بمصر والشام فى العصر المملوكى هجرة علماء الإسلام إلى مصر والشام، وذلك بعد أن ذوت مراكز العلم والتنوير فى معظم البلاد الإسلامية، خاصة بعد سقوط بغداد فى أيدى المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وتدميرهم لكنوز المخطوطات، وتعرض قرطبة فى الأندلس لحركة الاسترداد المسيحية، فضلًا على رعاية المماليك للحركة الفكرية ـ كما تقدم[2] ـ.

ومن أمثال هؤلاء العلماء الذين هاجروا إلى مصر والشام ـ فى القرن التاسع، فمن العراق، العالم عبد السلام البغدادى[3] «ت ٨٥٩هـ»، والعالم عبد الرحمن البغدادى[4]

---

(١) مجهول «تاريخ السلطان الأشرف قايتباى» ص ١٤، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٦١ تاريخ)، ارثربروستين «حجة الملك الأشرف قايتباى» ص ٣، ٦٩، لندن، ١٩٣٨م، د. حسنى نويصر «مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة: مدرسة الأمير سودون بن زاده بسوق الصلاح» ص ٧٠، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥م، محمود على «نيابة غزة فى العهد المملوكى» ص ٢٢٨، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦م، د. أحمد الإيبش «معالم دمشق التاريخية» ص ١٢٥، ترجمة د. قتيبة الشهابى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، سليمان إسحاق «تاريخ التعليم فى فلسطين على عهد سلاطين المماليك» ص ٩، عبد الغنى محمود «التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك» ص ١٢٠، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٥م، خالد محسن «الحياة العلمية فى الحجاز خلال العصر المملوكى» ص ١١٩، ١٢٠، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، د. زبيدة محمد عطا «مكتبات المدارس فى العصرين الأيوبى والمملوكى» ص ٢١٦، بحث ضمن أبحاث كتاب «ندوة المدارس فى مصر الإسلامية»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، د. عبد اللطيف إبراهيم «وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى» ص ١٨٣، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ديسمبر، ١٩٥٦م.

(٢) د. محمود محمد الحريرى «مصر فى العصور الوسطى» ص ٢٩٢، أحمد محمود «الدور السياسى والحضارى للصوفية» ص ٤٨١.

(٣) عبد السلام البغدادى: هو عبد السلام بن أحمد، العز البغدادى، تفقه على شيوخ عصره، كان عالمًا فى التفسير والمنطق، درس وأفتى، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ١٩٨.

(٤) عبد الرحمن البغدادى: عبد الرحمن بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه والتفسير، والقراءات، توفى ٨٣٦هـ، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ١٥٤.

« ت ٨٣٦هـ » اللذان هاجرا إلى مصر[١] ، والعالم حسين الوسطانى[٢] « ت ٨٥٨هـ » الذى هاجر إلى دمشق[٣] .

ومن المغرب ، العالم عباس بن أحمد[٤] « ت ٨٨٩هـ » الذى هاجر إلى مصر[٥] ، والعالم أمين الدين سالم[٦] « ت ٨٧٣هـ » ، والعالم شمس الدين محمد[٧] « ت ٨٧٦هـ » اللذان هاجرا إلى القدس[٨] .

ومن الأندلس ، شرف الدين يحيى[٩] « ت ٨٩٥هـ » الذى هاجر إلى القدس[١٠] .

ومن الهند ، العالم علاء الدين البخارى[١١] « ت ٨٤١هـ » الذى هاجر إلى مصر ، حيث أقام بها فترة ، ثم انتقل منها إلى دمشق حتى توفى بها[١٢] .

---

(١) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٥٤، ١٩٨.

(٢) حسين الوسطانى : حسين بن يوسف ، تفقه على شيوخ عصره ، رحل من العراق إلى دمشق عام ٨٥١هـ ، وتوفى عام ٨٥٨هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٣ ص ١٥٩.

(٣) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٣ ص ١٥٩.

(٤) عباس بن أحمد : كان من علماء القراءات بالمغرب ، هاجر إلى مصر ، توفى عام ٨٨٩هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٨.

(٥) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٨.

(٦) أمين الدين سالم : سالم بن إبراهيم ، كان عالماً بالمغرب ، ثم هاجر إلى القدس ، وتولى قضاء المالكية بها عام ٨٤٥هـ ، وتوفى عام ٨٧٣هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٧.

(٧) شمس الدين محمد : محمد بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، ناب فى قضاء القدس ، توفى عام ٨٧٦هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٩.

(٨) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٧، ٢٤٩.

(٩) شرف الدين يحيى : يحيى بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره بالأندلس ، ثم قدم إلى القدس ، وتولى قضاء المالكية بها عام ٨٨٨هـ ، وتوفى عام ٨٩٥هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٥٣.

(١٠) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٥٣.

(١١) علاء الدين البخارى : على بن محمد ، من كبار علماء الهند ، رحل إلى مصر فى العصر المملوكى ، واستقر بها فترة ، ثم رحل إلى دمشق ، ومكث بها حتى وفاته ٨٤١هـ ، وانتفع علماء مصر والشام بعلمه الغزير ، انظر : ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٩ ص ٢٣.

(١٢) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٩ ص ٢٣، المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٦.

obeikandi.com

كذلك ساهم فى ازدهار الحياة الفكرية بمصر والشام ازدهار الأوقاف فى العصر المملوكى ، حيث كانت تلك الأوقاف هى مصدر التمويل الأساسى للمؤسسات[١] العلمية بمصر والشام الذى يمكّنها من أداء رسالتها العلمية[٢] .

ومما ساعد ـ أيضًا ـ فى ازدهار الحياة الفكرية بمصر والشام ازدهار صناعة الورق وتجليد الكتب فى العصر المملوكى ، والقرن التاسع ـ بوجه خاص ـ ، حيث يمثل العصر الذهبى لصناعة تجليد الكتب فى مصر والشام من حيث المهارة الفنية ، وأصبح لمدينة القاهرة فى عصر المماليك مركز الصدارة فى إنتاج الكتب والمصاحف وزخرفتها وتجليدها ، وخاصة بعد أن اجتذبت الكثير من الفنانين والمجلدين من أنحاء العالم الإسلامى وخاصة من إيران ، كما ذخرت دمشق بمصانع الورق وأسواق بيعه مثل سوق الوراقين وسوق الكتبيين[٣] .

وأخيرًا حُبّ المصريين والشاميين للعلم والمجالس العلمية ، وحرصهم على حضور تلك المجالس[٤] .

---

(١) تتمثل المؤسسات العلمية فى مصر والشام فى العصر المملوكى فى المدارس والمساجد والخانقاوات والربط والزوايا ، انظر : د. أحمد حطيط « قضايا من تاريخ المماليك السياسى والحضارى » ص ٢٢٢، ٢٢٣، دار الفرات للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، د. عاصم محمد « خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى » ص ٦٩، د. عبد الغنى محمود « التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك » ص ١٤٩، ١٦٨، د. أحمد محمود « الدور السياسى والحضارى للصوفية فى عصر زمن سلاطين المماليك » ص ٤٨٣، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

(٢) النعيمى « دور القرآن بدمشق » ص ٦، البصروى « تاريخ البصروى » ص ١٧، د. طه ثلجى « مملكة صفد فى عهد المماليك » ص ١٥١، د. محمد محمد أمين « الأوقاف والحياة الاجتماعية » ص ٢٤٠، د. على السيد « القدس فى العصر المملوكى » ص ١٥٢، د. عادل عبد الحافظ « نيابة حلب » ص ١٩٢.

(٣) د. أحمد حطيط « التعليم بدمشق فى زمن المماليك » ص ٣٥١، مجلة المشرق ، بيروت ، السنة (٧٥) عدد (٢٠٠١م) ، كوركيس عواد « الخزانة الشرقية » ح ٢ ص ٤٧٦، ح ٥ ص ٢٠٦، د. أيمن فؤاد « صناعة الكتاب العربى المخطوط » ص ٢٢، مقال بدورية Annales Islamologiques، عدد (١٩٩٧) .

(٤) لطفى أحمد « وسائل الترفية فى عصر سلاطين المماليك فى مصر » ص ٤٨، ماجستير ، آداب عين شمس ، ١٩٨٧م ، د. مجاهد توفيق « الحركة العلمية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك البرجية ودور الأزهر فيها » ص ٦٨٧، دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨١م .

١ ـ العلماء والتأليف العلمى بمصر والشام

لقد ساهم علماء[١] مصر والشام فى إثراء الحياة الفكرية فى القرن التاسع من خلال إنتاجهم العلمى، الذى خرج فى صورة مُؤلفات علمية فى سائر أنواع العلوم الدينية[٢].

أ ـ الفقه:

الفقه فى الاصطلاح علم بحكم شرعى فرعى مكتسب من دليل تفصيلى سواء كان من نصه أو استنباطًا منه، وموضوع الفقه أفعال المكلفين من حيث عروض الأدلة المعروفة، واستمداده من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس وسائر الأدلة المعروفة، وفائدته امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه المحصلان للفوائد الدنيوية والأخروية[٣].

---

(١) لقد أُطلق على المُتفقهين فى العلوم الدينية فى العصر المملوكى لقب عالِم أو فقيه، أمّا المتفقهين فى العلوم الأخرى فلا، فقد كان الطبيب يُقال له الرئيس أو الحكيم، ويُقال لطبيب العيون الكحال، ولمهندس المبانى الشاد وهكذا، وهؤلاء المتفقهين فى العلوم غير الدينية لا يدخلون فى نطاق دراسة الباحث، حيث حدد الباحث بالفصل التمهيدى، أن المقصود بالعلماء فى هذه الدراسة هم المتفقهين فى العلوم الدينية فقط، انظر: التمهيد: ص ١، ٢.

(٢) كانت العلوم الدينية من «فقه، وتفسير، وحديث، وقراءات ... إلخ» هى العلوم الرئيسية التى تُدرس فى المؤسسات العلمية فى العصر المملوكى، أما سوى ذلك من علوم طبيعية ورياضيات وفلك، فقد كان الالتفات إليها ضئيلًا ومحدودًا، انظر: د. عبد اللطيف حمزة «الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول» ص ١٧١، دار الفكر العربى، القاهرة، «د.ت»، د. طه ثلجى «مملكة صفد فى عهد المماليك» ص ٢٦٧، د. حسن الباشا «دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية» ص ٤٥، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد (٣) عام ١٩٨٩م.

(٣) ابن الأكفانى «محمد بن إبراهيم ت ٧٤٩هـ» «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم» ص ١٦٢، ١٦٤، تحقيق عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر العربى، القاهرة، العلموى «عبد الباسط موسى «ت ٩٨١هـ»» «المُعيد فى أدب المفيد والمستفيد» ص ٦٨، شرحه وعلق عليه د. مروان العَطية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، طاش كبرى زاده «مفتاح السعادة ومصابيح =

ولقد صنّف علماء مصر والشام فى هذا العلم مُؤلفات علمية رصينة محكمة، فمن علماء مصر ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا المؤلفات فى ذلك العلم، قاسم بن قطلوبغا[١] «ت ٨٧٩هـ»، الذى شرح «الورقات»، والورقات كتاب صغير الحجم فى أصول الفقه، ولكنه غزير المعانى لإمام الحرمين الجوينى «عبد الملك بن عبد الله «ت ٤٧٨هـ[٢]»»، كما صنّف ابن قطلوبغا «مختصر المنار»، والمنار كتاب فى أصول الفقه بعنوان «منار الأصول» للنسفى «حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد «ت ٧١٠هـ»»، وتوجد نسخة مخطوطة من المنار بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (١/٦٧٩٣)[٣]، كما توجد نسخة من كتاب «مختصر المنار» لابن قطلوبغا بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[٤] تحت رقم (٤٩٨)[٥].

والعالم شمس الدين البساطى[٦] «ت ٨٤٢هـ» الذى شرح «مختصر ابن الحاجب»، ومختصر ابن الحاجب كتاب فى أصول الفقه ويسمى «منتهى السؤل والأمل فى علم الأصول والجدل» لجمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب «ت ٦٤٦هـ»، ثم اختصره ابن الحاجب وهو المشهور المتداول باسم «مختصر المنتهى» و«مختصر ابن الحاجب»[٧]، كما شرح شمس الدين البساطى «مختصر الشيخ خليل»، و«مختصر

= السيادة» ح ٢ ص ١٩٤، السيوطى «جلال الدين عبد الرحمن «ت ٩١١هـ»» «إتمام الدراية لقراء النقاية» ص ٧٩، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧هـ.

(١) قاسم بن قطلوبغا: تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه الحنفى، درس وأفتى، توفى ٨٧٩هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٢٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٨٧.

(٢) د. عبد اللطيف العبد «التفكير المنطقى» ص ٢٣٧.

(٣) «فهرس كتب القواعد الفقهية وأصول الفقه فى مكتبة المصغرات الفيلمية فى عمادة شؤون المكتبات فى الجامعة الإسلامية» ص ٣٨٥، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ.

(٤) «فهرس كتب القواعد الفقهية» ص ٢٩٨.

(٥) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٢٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٨٧.

(٦) شمس الدين البساطى: محمد بن أحمد، برع فى الفقه المالكى، تولى قضاء المالكية بمصر، درس، توفى ٨٤٢هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٢٠، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٥.

(٧) د. على منصور «الحياة العلمية بالقدس» ص ٨٣.

الشيخ خليل » كتاب فى الفقه المالكى[1] لصدر الدين عبد الخالق بن على المعروف بابن الفرات « ت ٧٩٤هـ »[2] ، والعالم شهاب الدين الطوخى[3] « ت ٨٥٣هـ » الذى صنّف « الزبدة فى الأصول لطالب الوصول » ، الذى توجد نسخة مخطوطة منها بجامعة الإمام محمد بن سعود برقم [٩/٦٠٠١][4] .

والعالم صدر الدين المناوى[5] « ت ٨٠٣هـ » الذى صنف « مختصر جمع الجوامع » ، و « جمع الجوامع » كتاب فى أصول الفقه[6] لتاج الدين السبكى « ت ٧٧١هـ »[7] ، وشمس الدين البرماوى[8] « ت ٨٣١هـ » الذى صنف « ألفية فى أصول الفقه وشرحها » ، و « شرح عمدة الأحكام » ، و « عمدة الأحكام »[9] كتاب فى الفقه الحنبلى للعالم أبى محمد عبد الله بن قدامة الحنبلى « ت ٦٦٠هـ » ، وهو مختصر فى العبادات الخمس[10] .

والعالم بدر الدين العينى[11] « ت ٨٥٤هـ » الذى شرح « الهداية » فى إحدى عشر

---

(١) حاجى خليفة « كشف الظنون » ح ٤ ص ٤٤٩.

(٢) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٠، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٧ ص ٥، محمد بن محمد مخلوف « شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية » ح ١ ص ٢٤١، دار الكتاب العربى ، بيروت ، « د .ت » .

(٣) شهاب الدين الطوخى : أحمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، توفى ٨٥٣هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٢ ص ١٦٦.

(٤) « فهرس كتب القواعد الفقهية » ص ٤٢٣.

(٥) صدر الدين المناوى : محمد بن إبراهيم ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الشافعية بمصر ، درس ، توفى ٨٠٣هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٢٨.

(٦) حاجى خليفة « كشف الظنون » ص ٥٩٥.

(٧) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٢٨.

(٨) شمس الدين البرماوى : محمد بن عبد الدائم ، تفقه على شيوخ عصره ، درس وأفتى ، توفى ٨٣١هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٥٦.

(٩) حاجى خليفة « كشف الظنون » ح ٢ ص ١١٦٤.

(١٠) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٥٦.

(١١) بدر الدين العينى : محمود بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الحنفية بمصر ، درس ، توفى ٨٥٤هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٤٦٨.

obeikandi.com

مجلدًا ، و « الهداية » كتاب فى فروع الفقه[١] الحنفى للشيخ برهان الدين على بن أبى بكر المرغينانى « ت ٥٩٣هـ » ، وكذا فى فروع الفقه الشافعى لأبى حسن منصور بن إسماعيل « ت ٣٠٦هـ » ، وأيضًا فى فروع الفقه الحنبلى للشيخ أبى الخطاب البغدادى « ت ٥١٠هـ » ، والذى شرحه بدر الدين العينى هو كتاب برهان الدين المرغينانى فى الفقه الحنفى ، حيث كان العينى من علماء الحنفية ، كما شرح بدر الدين العينى كتاب « الكنز »[٢] ، والكنز كتاب « كنز الدقائق فى فروع الحنفية » لحافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفى « ت ٧١٠هـ »[٣] ، والعالم عز الدين البكرى[٤] الذى صنّف كتاب « الخلاصة فى الفقه »[٥] ، والعالم الجلال المحلى[٦] « ت ٨٦٤هـ » الذى شرح « جمع الجوامع » ، وهو كتاب فى أصول الفقه[٧] لتاج الدين السبكى « ت ٧٧١هـ »[٨] ، والعالم تاج الدين الدميرى[٩] « ت ٨٠٥هـ » الذى له ثلاثة شروح على « مختصر الشيخ خليل » كبير ووسيط وصغير ، واشتهر الوسيط ، ومختصر الشيخ خليل[١٠] كتاب فى الفقه المالكى

---

(١) حاجى خليفة « كشف الظنون » ح ٢ ص ٢٠٣١، ٢٠٣٢، عمر رضا كحالة « معجم المؤلفين » ح ٧ ص ٤٥.

(٢) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٤٦٨، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٤٣٦.

(٣) ابن العجمى « كنوز الذهب » ح ٢ ص ٢٤٣، عمر رضا « معجم المؤلفين » ح ٦ ص ٣٢.

(٤) عز الدين البكرى : عبد العزيز بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الحنابلة بمصر عام ٨٢٩هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٢٩٦.

(٥) المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٢٩٦.

(٦) الجلال المحلى : محمد بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء مصر ، توفى ٨٦٤هـ ، انظر : السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢٣٤.

(٧) حاجى خليفة « كشف الظنون » ص ٥٩٥.

(٨) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢٣٤.

(٩) تاج الدين الدميرى : بهرام بن عبد الله ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى الفقه المالكى ، وانتهت إليه رئاسته فى عصره ، توفى ٨٠٥هـ ، انظر : محمد بن محمد مخلوف « شجرة النور الزكية » ح ١ ص ٢٣٩.

(١٠) حاجى خليفة « كشف الظنون » ح ٤ ص ٤٤٩.

لصدر الدين عبد الخالق بن على المعروف بابن الفرات «ت ٧٩٤هـ»[١]، والعالم ابن الهمام[٢] «ت ٨٦١هـ» الذى صنّف «التحرير فى أصول الفقه»، وشرح كتاب «الهداية»، ويسمى هذا الشرح «فتح القدير»، وهو شرح «الهداية» فى الفقه الحنفى لبرهان الدين المرغينانى «ت ٥٩٣هـ» ـ كما سبق القول[٣] ـ، وهذا الشرح توجد نسخ مخطوطة منه بمكتبة الأسد بدمشق تحت رقم (٢/٥٨ـ٦١)، ولقد وصل فيه أبو الهمام إلى كتاب «الوكالة»[٤] ثم أكمل الكتاب أحمد بن قودر المعروف بقاضى زاده «ت ٩٨٨هـ»[٥].

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا المؤلفات العلمية فى ذلك العلم، العالم تقى الدين الحصنى[٦] «ت ٨٢٩هـ» الذى شرح «التنبيه» فى خمس مجلدات[*]، و«التنبيه» كتاب فى فروع الفقه الشافعى[٧] للعالم أبى إسحاق إبراهيم الشيرازى «ت ٤٧٦هـ»، وهو أحد الكتب الخمس المشهورة المتداولة بين الشافعية، وله شروح كثيرة، كما شرح تقى الدين «المنهاج»، والمنهاج هو كتاب «شرح منهاج[٨] الطالبين فى مختصر كتاب المحرر» فى فروع الشافعية للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى المتوفى فى حدود سنة ٦٢٣هـ، وله شروح ومختصرات منها «مختصر الإمام محى الدين بن شرف النووى «ت ٦٧٦هـ»» وسماه «المنهاج»، كما شرحه تقى الدين السبكى «ت

---

(١) محمد بن محمد مخلوف «شجرة النور الزكية» ح ١ ص ٢٣٩.

(٢) ابن الهمام: محمد بن عبد الواحد، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، توفى ٨٦١هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ١٢٧.

(٣) انظر: ص ٣٢٩.

(٤) د. فاطمة محجوب «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» ح ٣٤ ص ٣٣٣.

(٥) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٤١٣.

(٦) تقى الدين الحصنى: أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، حتى صار شيخ الشافعية بدمشق، توفى ٨٢٩هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ١٨٢.

(*) توجد قطعة من هذا الشرح بدار الكتب المصرية برقم (٢٢٥ فقه شافعى طلعت).

(٧) حاجى خليفة «كشف الظنون» ح ١ ص ٤٨٩.

(٨) عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ح ٧ ص ١٢٧، د. على منصور «الحياة العلمية فى القدس» ص ٨٧.

٧٥٦هـ» وسماه «الابتهاج فى شرح المنهاج»[١].

والعالم شهاب الدين الحسبانى[٢] «ت ٨١٦هـ» الذى شرح «الحاوى»، والحاوى هو من الكتب المعتبرة[٣] فى الفقه الشافعى للعالم نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزوينى «ت ٦٦٥هـ»، والكتاب له شروح عديدة[٤].

والعالم ابن المبرد[٥] «ت ٩٠٩هـ» الذى صنّف «غاية السوّل إلى علم الأصول»، وهذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة[٦] بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم [٢/١٠٥٢][٧].

والعالم شهاب الدين الدمشقى[٨] «ت ٨٢٢هـ» الذى شرح «جمع الجوامع»، وهو كتاب فى أصول الفقه[٩] لتاج الدين السبكى «ت ٧٧١هـ»، كما شرح كتاب «الحاوى» ـ الذى سبق الإشارة إليه ـ[١٠].

والعالم علاء الدين الدمشقى[١١] «ت ٨٤٤هـ» الذى صنّف كتاب «نتائج الفكر فى

---

(١) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣٠٨.

(٢) شهاب الدين الحسبانى: أحمد بن إسماعيل، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، توفى ٨١٥هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٥٦.

(٣) حاجى خليفة «كشف الظنون» ح ١ ص ٦٢٥.

(٤) المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٣٦٦.

(٥) ابن المبرد: يوسف بن الحسن، تفقه على شيوخ عصره، صار رأس الحنابلة بدمشق فى عصره، درس وأفتى، كان إمامًا بارزًا فى الحديث والتفسير، تبلغ حوالى مائة وخمسين مُؤلف توفى ٩٠٩هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ٣٠٨، ابن مكى «السحب الوابلة» ح ٣ ص ١١٦٥، صلاح محمد «ابن المبرد حياته وآثاره المخطوطة والمطبوعة» ص ٧٧٦، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج (٢٦)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) «فهرس كتب القواعد الفقهية» ص ٣٢٣.

(٧) ابن المبرد «الجوهر المنضد» ص ٢٦.

(٨) شهاب الدين الدمشقى: أحمد بن عبد الله، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، تولى القضاء، توفى ٨٢٢هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣٥٦، ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣١١.

(٩) حاجى خليفة «كشف الظنون» ص ٥٩٥.

(١٠) المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٢٤٩، ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣١١.

(١١) علاء الدين الدمشقى: على بن عثمان، تفقه على شيوخ عصره، درس، توفى ٨٤٤هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٥٤٢.

openkanoun.com

ترتيب مسائل المنهاج[1] على المختصر»[2].

ومن علماء القدس ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا المُؤلفات العلمية فى هذا العلم، العالم شهاب الدين ابن[3] أرسلان «ت ٨٤٤هـ»، الذى صنف «لمع اللوامع فى توضيح جمع الجوامع»[4] الذى يعتبر توضيح لما أُشكِل من معانى كتاب «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكى «ت ٧٧١هـ»، حيث أن هذا الكتاب ـ كما يذكر ابن أرسلان ـ «صغير الحجم غزير العلم، وهو من الإيجاز، حتى كاد يعد من الألغاز، وقد استخرت ـ أى ابن أرسلان ـ فى توضيح معانيه وتخريج بعض الفروع على الأصول كما هو مسطور من كلام الأئمة وذكر الأمثلة»[5]، والعالم شمس الدين[6] الأسدى «ت ٨٠٨هـ» الذى شرح جمع الجوامع» لتاج الدين السبكى «ت ٧٧١هـ»، كما علّق على «مختصر ابن الحاجب»[7] وسمّى هذا التعليق «التوضيح»[8]، والعالم كمال الدين بن أبى شريف[9] «ت ٩٠٥هـ» الذى صنّف «الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع»[*] وهو حاشية على شرح الجلال

---

(١) المنهاج: انظر: ص ٣٣٠.

(٢) المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٥٤٢.

(٣) شهاب الدين ابن أرسلان: أحمد بن حسين، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، وله مصنفات عديدة، وهو من كبار علماء القدس، توفى ٨٤٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٨٥.

(٤) هذا الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم مكروفيلم (٢١٧٤١).

(٥) ابن أرسلان «شهاب الدين أحمد «ت ٨٤٤هـ»» «لمع اللوامع فى توضيح جمع الجوامع» ص ١، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم مكروفيلم (٢١٧٤١)، العيدروسى «النور السافر» ص ٧٥، المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٢٦١، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٨٥.

(٦) شمس الدين الأسدى: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، له مصنفات فى الفقه كثيرة، توفى ٨٠٨هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٩٣.

(٧) مختصر ابن الحاجب: انظر: ص ٣٢٧.

(٨) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٩٣، د. على منصور «الحياة العلمية» ص ٨٣، ٨٤.

(٩) كمال الدين بن أبى شريف: محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن أبى بكر، تفقه على شيوخ عصره، كان من أعيان علماء القدس فى عصره، درس وأفتى، توفى ٩٠٥هـ، انظر: مجير الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٣٧٧.

(*) يوجد نسخة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية برقم (١٧ أصول فقه).

(١٠) سبق ذكر ذلك الشرح الذى صنفه الجلال المحلى «ت ٨٦٤هـ»، انظر: ص ٣٢٩.

المحلى[١٠] «ت ٨٦٤هـ» لجمع الجوامع للسبكى[١].

ومن علماء حلب ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا المُؤلفات فى ذلك العلم، العالم شمس الدين الحلبى[٢] «ت ٨٧١هـ» الذى شرح «المنهاج»[٣] فى أربعة عشر مجلد، وصنّف «الأنجم الزاهرات على حلّ ألفاظ الورقات»[٤]، الذى يوجد نسخة منه بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٧٦٦٤)[٥].

ومن علماء حماة ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا المؤلفات فى ذلك العلم، نور الدين الحموى[٦] «ت ٨٣٤هـ» الذى صنف «تكملة شرح منهاج النووى «ت ٦٧٦هـ»» فى ثلاث عشرة مجلدة[٧].

ويظهر مما سبق أنّه غلب على مصنفات العلماء باختلاف مشاربهم الفقهية طابع الشرح والاختصار، أو تعليق النكت والحواشى على كتب المتقدمين، ومن تلك الكتب التى ظفرت بمزيد عنايتهم كتاب «المنهاج»، و«التنبيه»، و«الحاوى» فى فقه الشافعية، وكتاب «الهداية فى فقه الحنفية»، وكتاب «مختصر ابن الحاجب» فى الفقه المالكى، وكتاب «عمدة الأحكام» فى الفقه الحنبلى.

كما اتّجه فريق من العلماء إلى وضع المنظومات العلمية فى الفقه؛ تيسيرًا على الدارسين ولاسيما المبتدئين منهم، كما فعل شمس الدين البرماوى «ت ٨٣١هـ» ـ كما سبق القول ـ.

---

(١) العيدروسى «النور السافر» ص ٧٥، يوسف اليان سركيس «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ح ٢ ص ١٥٦٨، دار صادر، بيروت، «د.ت»، كوركيس عواد «الذخائر الشرقية» ح ٤ ص ٣٣.

(٢) شمس الدين الحلبى: محمد بن عثمان، تفقه على شيوخ عصره، توفى ٨٧١هـ، انظر: ابن الطباخ «إعلام النبلاء» ح ٥ ص ٢٦٥.

(٣) المنهاج: انظر: ص ٣٣٠.

(٤) الورقات: انظر: ص ٣٢٧.

(٥) ابن الطباخ «إعلام النبلاء» ح ٥ ص ٢٦٥، «فهرس كتب القواعد الفقهية» ص ١٢٥.

(٦) نور الدين الحموى: محمود بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بحماة، درس وأفتى، توفى ٨٣٤هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٤٥٨.

(٧) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٤٥٩.

ب ـ الحديث :

علم الحديث علم بقوانين يُعرف بها أحوال السند والمتن ، وموضوعه السند والمتن ، وغايته معرفة الصحيح من غيره ، وقسم العلماء علوم الحديث إلى علمين رئيسيين ، علم الحديث رواية ، فهو علم موضوعه نقل الأحاديث ، وتداولها بين الناس ، والهدف منه حفظ الخبر ونقله دون الحكم عليه من حيث القبول والرد ومن ثم يعنى هذا العلم بالراوى والمروى ، والمروى عنه والمروى إليه ، أما علم الحديث دراية يعنى بفهم وتتبع أحوال الرواة وطبقاتهم ، وفهم المروى وأنواعه ، وما قد يعتريه من علل خفية وغير ذلك مما عنى به المحدثون[(١)] .

ولقد صنف علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ فى هذا العلم مُؤلفات علمية رصينة مُحكمة .

فمن علماء مصر ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا فى هذا العلم ، العالم ابن الملقن[(٢)] « ت ٨٠٤هـ » الذى شرح « صحيح البخارى » فى عشرين مجلدًا ، كما شرح « زوائد مسلم » و « زوائد أبى داود » ، كما صنّف « المقنع فى علم الحديث » ، و « المعين على تفهم الأربعين » ، ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الملك عبد العزيز التابعة لوزارة الحج والأوقاف بالمدينة المنورة ، رقمها (٦٠٨) ، ولقد حقق عبد العال مسعد هذا الكتاب ، ونشرته دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م[(٣)] وله ـ أيضًا ـ «التذكرة فى علوم الحديث» ، ويوجد منها نسخة بمكتبة الخالدية بالقدس برقم (٤٢٤/٦)[(٤)] ، والعالم زين الدين العراقى[(٥)] « ت ٨٠٦هـ » ، الذى صنّف « الألفية » فى علوم الحديث ، وهى ألف

---

(١) العلموى « المُعيد فى أدب المفيد والمستفيد » ص ١٦، د. محمد قاسم المنسى « دراسات فى السنّة وعلم الحديث » ص ١٩، ١٤٣، ١٦٢، دار النصر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

(٢) ابن الملقن : عمر بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم الحديث ، درس وأفتى ، توفى ٨٠٤هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٣٤٠، ابن قاضى شهبة « تاريخ ابن قاضى شهبة « ٨٠١ـ٨٠٨هـ » » ح ٤ ص ٢٨١، تحقيق عدنان درويش ، المعهد الفرنسى للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٩٧م .

(٣) المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٣٤٠، ابن قاضى شهبة « تاريخ ابن قاضى شهبة » ح ٤ ص ٢٨١، ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ١٩٧.

(٤) « فهر الخالدية » ص ١٧٨ .

(٥) زين الدين العراقى : عبد الرحيم بن الحسين ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم الحديث ، درس ، =

بيت ، على نحو ما فعل ابن مالك فى ألفيته المشهورة فى علم النحو ، ثم شرح العراقى ألفيته وسمّاها « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » وهذا الشرح قد طبع بالحجر[١] فى لنكاو « الهند » سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، كما شرح العراقى « جامع الترمذى » شرحًا كبيرًا[٢] .

والعالم ولى الدين أبو زرعة[٣] « ت ٨٢٦هـ » الذى صنّف « الأطراف بأوهام الأطراف للمزى « يوسف بن عبد الرحمن ت ٧٤٢هـ » » ، والمقصود بالأطراف عند علماء الحديث ، هو أن يذكر أهل الأطراف حديث الصحابى مفردًا ـ كأهل المسانيد ـ إلا أنهم لا يذكرون من الحديث إلا طرفًا يُعرف به ، مع الجمع لأسانيده ، إما على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة ، أما أهل المسانيد يذكرون الحديث كاملًا ويستقصون جميع حديث ذلك الصحابى سواء رواه من يُحتج به أم لا ، فقصدهم حصر جميع ما روى عنه من غير نظر إلى التبويب الفقهى[٤] ، كما صنّف ولى الدين « المستفاد من مبهمات المتن والإسناد »[٥] ، كما كتب على سُدُس « سنن أبى داود » سبع مجلدات[٦] .

والعالم شهاب الدين البوصيرى[٧] « ت ٨٤٠هـ » الذى صنّف « إتحاف البررة بزوائد مسانيد العشرة » فى سبع مجلدات ، والمسانيد هى كتب مرتبة على الصحابة ، حيث تذكر روايات الصحابى الواحد كلها فى مكان واحد ، ثم ينتقل إلى صحابى آخر ، دون تبويب

= توفى ٨٠٦هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٧١ ، ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٢٢٠.

(١) كوركيس عواد « الذخائر الشرقية » ح ٤ ص ١٠٣.

(٢) ابن ناصر الدين «شرح بديعة البيان عن موت الأعيان من رجال الحديث» ص ١٨٠ ، مخطوط بمعهد المخطوطات برقم (٢٩٠ تاريخ) ، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٧١ ، المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٢٣٦.

(٣) ولى الدين أبو زرعة : أحمد بن عبد الرحيم ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم الحديث ، درس ، توفى ٨٢٦هـ ، انظر : ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٢٨٤ ، المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٣٠٩.

(٤) ابن حجر العسقلانى « إتحاف المهرة » ص ٢٥ ، ٢٧ ، تحقيق د. زهير بن ناصر الناصر ، مركز خدمة السنّة والسيرة النبوية ، المدينة المنورة ، ط ١ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) .

(*) توجد نسخة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية برقم (٤٩٤ حديث) .

(٥) ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٢٨٤ ، المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٣٠٩.

(٦) شهاب الدين البوصيرى : أحمد بن أبى بكر ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم الحديث ، توفى ٨٤٠هـ ، انظر : البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ٤٧.

للأحاديث ، ومن أشهر الكتب فى ذلك « المسند » للإمام أحمد بن حنبل « ت ٢٤١هـ » ، وبعض هذه المسانيد اتبع أسلوب جمع روايات الصحابى الواحد ، ولكنه بوّب أحاديث كل صحابى كما فعل البزار فى « المسند الكبير »[١] ، كما صنّف « مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجة » اشتمل على ما فيه من الزيادة على الكتب الستة[٢] .

والعالم ابن حجر العسقلانى[٣] « ت ٨٥٢هـ » الذى صنّف « فتح البارى فى شرح البخارى » فى اثنى عشر مجلدًا ، ولقد وصف العالم برهان الدين البقاعى[٤] « ت ٨٨٥هـ » هذا الكتاب قائلًا « هو عجب لمن تأمله ، جمع من المنقول والمعقول خزائن علم ، مع حسن النظم وصغر الحجم ، وسلك فيه طريقًا ما سُبق إلى مثلها فى هذا الكتاب بجمع طرق الحديث فيشرح بعضُها بعضًا ، وبيّن الألفاظ التى اختلف فيها رواة البخارى ، ثم يأخذ كلام الشراح أولًا فأولًا إلى عصره ، فيبين صواب المصيب ، ووهم الواهم ومن أين جاءه الغلط »[٥] ، كما صنّف « إتحاف المهرة بأطراف[٦] العشرة[*] » ـ وهى « الموطأ » للإمام مالك ، و « مسند الشافعى » ، ومسند الإمام أحمد ، وجامع الدارمى ، وصحيح ابن خزيمة ، ومنتقى ابن الجارود ، وصحيح ابن حبان ، ومستخرج أبى عوانة ، وشرح معانى الآثار للطحاوى ، ومستدرك الحاكم[٧] ـ .

---

(١) د. محمد قاسم المنسى « دراسات فى السنة وعلم الحديث » ص ٦٢.

(٢) المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٢٨٨، البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ٤٧.

(٣) ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم الحديث ، حتى لقب بأمير المؤمنين فى الحديث النبوى ، ولى قضاء مصر على المذهب الشافعى ، توفى ٨٥٢هـ ، انظر : ابن تغرى « المنهل الصافى » ح ٢ ص ١٧، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٢ ص ٣٨.

(٤) برهان الدين البقاعى : إبراهيم بن عمر ، تفقه على شيوخ عصره ، من كبار علماء الحنابلة بدمشق ، درس ، وأفتى ، توفى ٨٨٥هـ ، انظر : ابن المبرد « متعة الأذهان » ح ٢ ص ٥١.

(٥) البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ١٢٤، ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٣٣٢.

(٦) فن الأطراف : انظر : ص ٣٣٥.

(*) هذا الكتاب قام بتحقيقه الدكتور زهير بن ناصر الناصر ، ونشره مركز خدمة السنّة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م فى ستة عشر جزءًا .

(٧) البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ١٤٢، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٨٧.

والعالم شمس الدين السخاوى[١] «ت ٩٠٢هـ»، الذى صنّف «عمدة الأصحاب فى معرفة الألقاب» وهو فى علم الحديث[٢]، والعالم جلال الدين السيوطى[٣] «ت ٩١١هـ»، الذى صنّف «لم الأطراف[٤] وضم الأتراف» مرتب على حروف المعجم فى ألفاظ الأحاديث، وهو مختصر «أطراف المزى «يوسف بن عبد الرحمن ت ٧٤٢هـ»[٥].

والعالم زكريا الأنصارى[٦] «ت ٩٢٦هـ»، الذى صنف «تحفة البارى على صحيح البخارى»[٧]، و«فتح الباقى بشرح ألفية العراقى[*]»[٨].

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا المؤلفات فى هذا العلم، العالم ابن زكنون[٩] «ت ٨٣٧هـ»، الذى كتب شرحًا كبيرًا على مسند الإمام أحمد بن حنبل[١٠]، والعالم ابن ناصر الدين[١١] «ت ٨٤٢هـ» الذى صنّف «افتتاح القارى لصحيح البخارى»،

---

(١) شمس الدين السخاوى: محمد بن عبد الرحمن، تفقه على شيوخ عصره، درس، وأفتى، برع فى علم الحديث، له مصنفات عديدة، توفى ٨٠٢هـ، انظر: العيدروس «النور السافر» ص ١٥٠.

(٢) د. عبد الحق حميش «مصطلحات الألقاب عند فقهاء المذاهب الأربعة» ص ٣٠٤، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (٦٠)، محرم ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م.

(٣) جلال الدين السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن تفقه على شيوخ عصره، درس، وأفتى، وصنف مصنفات عديدة، توفى ٩١١هـ، انظر: «الكواكب السائرة» ص ٣١٥.

(٤) فن الأطراف: انظر: ص ٣٣٥.

(٥) السيوطى «التحدث بنعمة الله» ص ١٠٧.

(٦) زكريا الأنصارى: زكريا بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس، وتولى قضاء الشافعية بمصر، توفى ٩٢٦هـ، انظر: الغزى «الكواكب السائرة» ص ١٩٦.

(٧) هذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٣٧ حديث).

(*) هى الألفية التى صنّفها العالم زين الدين العراقى «ت ٨٠٦هـ» فى علم الحديث، ولقد سبق الحديث عنها، انظر: ص ٣٣٤.

(٨) هذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٥١ مصطلح حديث).

(٩) ابن زكنون: على بن حسين، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، ودرّسه، توفى ٨٣٧هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٤٨٢.

(١٠) المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٤٨٢.

(١١) ابن ناصر الدين: محمد بن أبى بكر، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، ودرّسه =

و « الأربعون المتباينة الإسناد والمتون » ، و « الإعلام بما وقع فى مشتبه الذهبى من الأوهام » و « توضيح المشتبه فى ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم[*] »[1] ، وابن المبرد[2] « ت ٩٠٩هـ » الذى صنف « التخريج الصغير والتحبير الكبير » وهو فى علم الحديث[3] .

ومن علماء حلب ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا فى هذا العلم ، العالم سبط ابن العجمى[4] « ت ٨٤١هـ » ، الذى صنّف « غاية السول فى رواة الستة الأصول » ، وشرح « سنن ابن ماجة » ، وتعليق على « صحيح البخارى » فى مجلدين سمّاه « التنقيح لفهم قارئ الصحيح »[5] ، و«التوضيح لمبهمات الجامع الصحيح» ، وتوجد منه نسخة مخطوطة بجامعة الإمام محمد بن سعود[6] ، والعالم موفق الدين أبو ذر[7] « ت ٨٨٤هـ » ، الذى أفرد مبهمات البخارى ، ووضع التوضيح للأوهام الواقعة فى الصحيح ، كما أفرد مبهمات مسلم[8] .

ومن علماء القدس فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا فى هذا العلم ، العالم ابن أرسلان[9]

= بدمشق ، توفى ٨٤٢هـ ، انظر : ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٣١٧.

(*) هذا الكتاب حققه محمد نعيم العرقسوس ، ونشرته مؤسسة الرسالة ، بيروت ، عام ١٩٩٣م ، انظر د. عبد الحق حميش « مصطلحات الألقاب عند فقهاء المذاهب الأربعة » ص ٣٠٤.

(١) ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٣١٧، المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٨، ابن تغرى « المنهل الصافى » ح ٩ ص ٢٣٤، د. عبد الحق حميش « مصطلحات الألقاب » ص ٣٠٤.

(٢) ابن المبرد : يوسف بن الحسن ، تفقه على شيوخ عصره ، صار رأس الحنابلة بدمشق فى عصره ، درس وأفتى ، وكان إمامًا فى الحديث والتفسير ، توفى ٩٠٩هـ ، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١٠ ص ٣٠٨.

(٣) ابن المبرد « الجوهر المنضد » ص ٢٤.

(٤) سبط ابن العجمى : إبراهيم بن محمد ، سمع الحديث على شيوخ عصره ، صار شيخ الحديث بحلب ، توفى ٨٤١هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٦٥، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ١٣٨.

(٥) البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٩٠، ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٣٠٨، المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٦٥.

(٦) د. عابد سليمان « أنماط التوثيق فى المخطوط العربى فى القرن التاسع الهجرى» ص ٢١٠ .

(٧) موفق الدين أبو ذر : أحمد بن محمد ، سمع الحديث على شيوخ عصره ، توفى ٨٨٤هـ ، انظر : ابن الحنبلى « در الحبب » ح ١ ص ١٥٣.

(٨) ابن الحنبلى « در الحبب » ح ١ ص ١٥٣.

(٩) ابن أرسلان : انظر : ص ٣٣٢.

obeikandl.com

« ت ٨٤٤هـ »، الذى شرح « سنن أبى داود » فى أحد عشر مجلدًا[1].

ويتضح مما سبق عناية علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ بالتأليف العلمى فى علم الحديث بفرعيه الرئيسيين، سواء كان علم الحديث رواية، حيث صنف علماء مصر والشام مؤلفات اختصت بنقل الأحاديث، بهدف تداولها بين الناس، وكان الهدف منها حفظ الخبر ونقله، دون الحكم عليه من حيث القبول والرد، فظهرت كتب المسانيد وهى كتب مرتبة على الصحابة بحيث تذكر روايات الصحابى الواحد كلها فى مكان واحد ثم ينتقل إلى صحابى آخر، دون تبويب للأحاديث، ومن ذلك ما صنّفه شهاب الدين البوصيرى « ت ٨٤٠هـ »، كما ظهرت ـ أيضًا ـ كتب الأطراف، التى تذكر حديث الصحابى مفردًا ـ كأهل المسانيد ـ إلا أنهم لا يذكرون من الحديث إلا طرفًا يعرف به، ومن ذلك ما صنفه ابن حجر العسقلانى « ت ٨٥٢هـ ».

كما ظهرت المصنفات فى علم الحديث دراية، والذى يعنى بفهم أحوال الرواة وطبقاتهم، وفهم المروى وأنواعه، وما قد يعتربه من علل خفية، ومن ثم الحكم بعد ذلك على الحديث من حيث القبول أو الرد، وذلك ما ظهر فى الشروح والتعليقات لعلماء مصر والشام لمصنفات علماء الحديث المتقدمين، فظهر « شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل » لابن زكنون « ت ٨٣٧هـ »، و « شرح سنن أبى داود » لابن أرسلان. و « شرح سنن ابن ماجة » لابن العجمى « ت ٨٤١هـ ».

وبالإضافة إلى ما سبق فقد ظهرت مؤلفات أخرى فى علم الحديث عنيت « بعلوم الحديث » من حيث أصول الرواية وآداب المحدث ونحو ذلك، كما ظهر فى مؤلفات ابن المبرد « ت ٩٠٩هـ »، وزين الدين العراقى « ت ٨٠٦هـ »، والسخاوى « ت ٩٠٢هـ ».

---

(١) البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ٦٩.

جـ ـ القراءات :

علم القراءات هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطرق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله ، وحكمه فرض كفاية تعلمًا وتعليمًا ، ويصبح فرض عين إذا خشى ذهابه واندراسه وعدم قيام أحد به ، وفائدته العصمة من الخطأ فى النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير[١] .

فمن علماء مصر فى القرن التاسع الذين صنّفوا فى هذا العلم ، العالم برهان الدين الكركى[٢] ، الذى صنّف « النكت على الشاطبية « فى مجلد ، والشاطبية نسبة للعالم أبى القاسم بن نفيرة ـ بمعنى الحديد بلغة عجم الأندلس ـ بن خلف بن أحمد الشاطبى الأندلسى ، ولد عام ٥٣٨هـ بشاطبية ـ وهى قرية من قرى الأندلس ، تلقى القراءات بها ، وحذقها ، ثم رحل إلى القاهرة ، وتصدر بها للإقراء ، ونظم فيها أربع قصائد مشهورة أشهرها « حرز الأمانى ووجه التهانى » ، المعروفة « بالشاطبية » اختصر فيها كتاب « التيسير فى القراءات السبع » للإمام ابن عمرو عثمان بن سعيد الدانى[٣] .

كما صنّف برهان الدين الكركى « درة القارئ المجيد فى أحكام القراءة والتجويد » ، و « عمدة المحصل الهمام فى مذاهب السبعة الأعلام » ، والسبعة الأعلام هم القراء السبعة الذين ينسب إليهم القراءات السبع المعروفة[٤] ، وهم نافع المدنى ، وابن كثير المكى « ت ١٢٠هـ » ، وأبو عمرو البصرى « ت ١٥٤هـ » ، وابن عامر الشامى ، وعاصم الكوفى « ت

---

(١) د. سليمان معرفى « فى علوم القرآن » ص ٢٣٧، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت ، ط ١ (٢٠٠٣م) ، « الموسوعة القرآنية المتخصصة » ص ٣٠٦، إشراف د. محمود حمدى زقزوق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

(٢) برهان الدين الكركى : إبراهيم بن موسى ، تفقه على شيوخ عصره ، استوطن بالقاهرة منذ عام ٨٠٨هـ ، برع فى القراءات ، انظر : البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ١٠٢.

(٣) د. سليمان معرفى « فى علوم القرآن » ص ٢٥٦.

(٤) ابن النديم « محمد بن إسحاق » « الفهرست » ص ٥٧ ـ ٦٢، تحقيق د. ناهد عباس عثمان ، دار قطرى بن الفجاءة ، قطر ، ط ١ (١٩٨٥م) ، د. سليمان معرفى « فى علوم القرآن » ص ٢٤٠.

١٢٧هـ»، وحمزة الكوفى «ت ١٥٦هـ»، والكسائى «ت ١٩٩هـ»[١].

والعالم أبو القاسم النويرى[٢] «ت ٨٥٧هـ»، الذى له شرح حافل على «طيبة النشر لابن الجزرى «ت ٨٣٣هـ»»، وطيبة النشر هى منظومة شهيرة فى علم القراءات وتسمى «طيبة النشر فى القراءات العشر»[٣]، ولقد اشتمل شرح النويرى معزوة إلى طرقها، وعلى توجيهها بشكل جيد موجز، ويعد كتاب النويرى من كتب القراءات العشر[*] الكبرى[٤].

والعالم شهاب الدين القسطلانى[٥] «ت ٩٢٣هـ»، الذى صنّف «لطائف الإشارات لفنون القراءات» وهو يشتمل على الرواية والدراية للقراء الأربعة عشر ـ وهم القراء العشر السابق ذكرهم، ويضاف إليهم الحسن البصرى وابن محيصن المكى، ويحيى اليزيدى البصرى، والشنبوذى[٦] ـ، وعلى وسائل علم القراءات كعلم مرسوم الخط، وفن عدد الآيات، والوقف والابتداء وغيرها[٧]، وللقسطلانى ـ أيضًا ـ «اللآلئ السنية فى شرح المقدمة الجزرية»، ويوجد نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٦ قراءات)[٨].

والعالم زكريا الأنصارى[٩] «ت ٩٢٦هـ»، الذى صنّف «الدقائق المحكمة فى شرح

---

(١) البقاعى «عنوان الزمان» ح ٢ ص ١٠٢.

(٢) أبو القاسم النويرى: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، عُرض عليه القضاء أكثر من مرة فامتنع، توفى ٨٥٧هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٩ ص ٢٤٧.

(٣) «الموسوعة القرآنية المتخصصة» ص ٣٥١.

(*) **القراءات العشر**: هى قراءات القراء السبع – السابق ذكرهم – ويضاف إليهم أبو جعفر المدنى، ويعقوب البصرى، وخلف البغدادى، والقراءات العشر كلها متواترة سواء كانت من قبيل اللفظ أو من قبيل الأداء كالإمالة والمد ونحو ذلك، انظر: د. سليمان معرفة «فى علوم القرآن» ص ٢٤٣، ٢٥٣.

(٤) «الموسوعة القرآنية المتخصصة» ص ٣٥٢.

(٥) شهاب الدين القسطلانى: أحمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم القراءات، توفى ٩٢٣هـ، انظر: ابن العماد «شذرات الذهب» ح ٨ ص ١٢١.

(٦) د. سليمان معرفى «فى علوم القرآن» ص ٢٤٣.

(٧) «الموسوعة القرآنية المتخصصة» ص ٣٥٢.

(٨) ابن العماد «شذرات الذهب» ح ٨ ص ١٢١.

(٩) زكريا الأنصارى: انظر: ص ٣٣٧.

المقدمة الجزرية » ، ويوجد نسخة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية برقم (٨٦ قراءات) .

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا فى هذا العلم ، ابن الجزرى[١] « ت ٨٣٣هـ » ، الذى صنّف « متن الدرة » وهى منظومة شهيرة سماها « الدرة المضيئة » ، وهى فى القراءات الثلاث المكملة للعشر الصغرى ، كما صنّف « طيبة النشر فى القراءات العشر »[٢] ، والعالم برهان الدين البقاعى[٣] « ت ٨٨٥هـ » الذى أفرد قراءة أبى عمرو[٤] بتصنيف لم يُسبق إليه مثله فى الاشتغال والترتيب[٥] .

ومن علماء القدس ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا فى هذا العلم ، العالم برهان الدين بن أبى شريف المقدسى[٦] ، الذى نظم قراءة أبى عمرو ابن العلاء فى نحو خمسمائة بيت[٧] .

ويتضح مما سبق عناية علماء مصر والشام بعلم القراءات عناية تدرجهم ضمن أئمة هذا الفن وعلمائه أمثال ابن الجزرى « ت ٨٣٣هـ » صاحب « طيبة النشر فى القراءات العشر » ذائعة الصيت فى هذا الفن ، وأبو القاسم النويرى « ت ٨٥٧هـ » ، والذى يعد مصنفه وهو « شرح لطيبة النشر » لابن الجزرى « ت ٨٣٣هـ » من كتب القراءات العشر الكبرى .

كما صنّف علماء مصر والشام شروحًا للمصادر الأصلية فى هذا العلم ، أو نظمًا لها ليسهل حفظها ، أو اختصارًا لها ، كما فعل برهان الدين الكركى ، وابن الجزرى « ت ٨٣٣هـ » ، وبرهان الدين المقدسى .

---

(١) ابن الجزرى : محمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، درس بدمشق ، وعين لقضاء الشافعية بها ، ولكن لم يتم له ذلك ، توفى ٨٣٣هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ١٠٩ .

(٢) « الموسوعة القرآنية المتخصصة » ص ٣٥١ .

(٣) برهان الدين البقاعى : انظر : ص ٣٣٦ .

(٤) أبو عمرو : هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازنى البصرى ، أحد القراء السبع ، انظر : ابن النديم « الفهرست » ص ٥٧ .

(٥) البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٦١ .

(٦) برهان الدين بن أبى شريف : إبراهيم بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى علم القراءات ، انظر : البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٨٨ .

(٧) البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٨٨ ، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ١٣٥ .

د ـ التفسير :

علم التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[١].

ولقد صنّف علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ فى هذا العلم مُؤلفات عليمة رصينة مُحكمة.

فمن علماء مصر، الذين صنّفوا فى هذا العلم، العالم جلال الدين البلقينى[٢] «ت ٨٢٤هـ»، الذى ذكر المؤرخون أن له عدة مصنفات فى التفسير، ذكروا منها مصنفه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»[٣].

والعالم علم الدين البلقينى[٤] «ت ٨٦٨هـ»، الذى صنّف «تفسير القرآن العظيم» فى ثلاثة عشر مجلدًا[٥]، والعالم ابن إمام[٦] الكاملية «ت ٨٦٤هـ» الذى اختصر «تفسير

---

(١) ابن الأكفانى «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» ص ١٥٧، د. محمد بلتاجى «مدخل إلى علم التفسير» ص ١٨، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٢) جلال الدين البلقينى: عبد الرحمن بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بمصر، درس، وأفتى، توفى ٨٢٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ١٠٦، ابن فهد المكى «أبى الفضل تقى الدين محمد بن محمد ت ٨٧١هـ» «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» ص ٢٨٢، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٧هـ

(٣) ابن فهد «لحظ الألحاظ» ص ٢٨٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ١١٣، د. سليمان معرفى «فى علوم القرآن» ص ١٨.

(٤) علم الدين البلقينى: صالح بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بمصر، درس وأفتى، توفى ٨٦٨هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٣ ص ٣١٢.

(٥) السخاوى «الذيل على رفع الأصر» ص ١٥٥.

(٦) ابن إمام الكاملية: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس، توفى ٨٦٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٩ ص ٩٣.

البيضاوى(*) »[1] ، والعالم عز الدين أبو البركات[2] « ت ٨٧٦هـ » الذى صنّف فى التفسير « مختصر زاد المسافر »[3] ، والعالم ابن تيم السكندرى « ت ٨٤٢هـ » الذى صنّف فى علم التفسير « تفسير الفاتحة » ، و « تفسير سورة النبأ إلى آخر القرآن » سماه أصحابه « سراج الإغراب فى التفسير ومعانى الإعراب »[4] ، والعالم جلال الدين السيوطى[5] « ت ٩١١هـ » الذى ألف « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » فى اثنى عشر مجلدًا ـ وهو مطبوع ـ ، و « تناسق الدرر فى تناسب الآيات والسور » و « أسرار التنزيل »[6] ، والعالم زكريا الأنصارى[7] « ت ٩٢٦هـ » الذى صنّف « فتح الجليل ببيان خفى أنوار التنزيل » ، وهذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٧٨) تفسير[8] .

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا فى هذا العلم ، العالم شهاب الدين الحسبانى[9] « ت ٨١٥هـ » ، الذى صنّف « جامع التفاسير » الذى قال المؤرخون أنه أجاد فيه وجمع فيه فأوعى[10] ، والعالم برهان الدين البقاعى[11] « ت ٨٨٥هـ » الذى صنّف « نظم الدرر فى تناسب الآى والسور » ، ولقد طبعت[12] بعض أجزاء هذا الكتاب فى حيدرآباد الدكن ،

(*) «تفسير البيضاوى» هو كتاب «أنوار التنزيل وأسرار التأويل فى التفسير» لناصر الدين البيضاوى «ت ٦٨٥هـ» وقيل ٦٩٢هـ ، وكتابه هذا عظيم الشأن فى هذا الميدان ، انظر : حاجى خليفة «كشف الظنون» ح١ ص ١٨٦.

(١) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٩ ص ٩٣.

(٢) عز الدين أبو البركات : أحمد بن إبراهيم ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، ولى قضاء الحنابلة فى مصر ، توفى ٨٧٦هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٠٥.

(٣) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢٨.

(٤) أحمد محمود « الدور السياسى والحضارى للصوفية » ص ٥١٧.

(٥) جلال الدين السيوطى : انظر : ص ٣٣٧.

(٦) السيوطى « التحدث بنعمة الله » ص ١٠٥، العيدروسى « النور السافر » ص ٩١.

(٧) زكريا الأنصارى : انظر : ص ٣٣٧.

(٨) العيدروسى « النور السافر » ص ١٧٦، الغزى « الكواكب السائرة » ص ١٩٩.

(٩) شهاب الدين الحسبانى : أحمد بن إسماعيل ، تفقه على شيوخ عصره ، درس الحديث بدمشق ، توفى ٨١٥هـ ، انظر : ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٢٤٤.

(١٠) المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٣٦٦، ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٢٤٤، السخاوى «الضوء اللامع» ح١ ص ٢٣٩.

(١١) برهان الدين البقاعى : انظر : ص ٣٣٦.

(١٢) البقاعى « إظهار العصر » ص ٣٧، البقاعى « الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » ص ٣٩.

وقامت الدار العربية بلبنان بطبع هذا الكتاب ، كما أنه هدف الباحثين بجامعة الأزهر ، فقد أخذت أجزاؤه السبعة ليعد فى كل منها بحث لنيل درجة الدكتوراة بكلية أصول الدين[١] .

ومن علماء القدس ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا فى هذا العلم ، العالم مجير الدين العليمى « ت ٩٢٨هـ » الذى صنّف « فتح الرحمن فى تفسير القرآن »[٢] ، والعالم ابن أرسلان[٣] « ت٨٤٤هـ » الذى صنف قطع متفرقة من التفسير[٤] .

ويتضح مما سبق ، أنّه قد تنوعت مؤلفات العلماء فى علم التفسير ، فمنهم من اتجه إلى تفسير القرآن كله كالسيوطى « ت ٩١١هـ » وعلم الدين البلقينى « ت ٨٦٨هـ » ، ومنهم من اكتفى بتفسير سورة أو أكثر من سور القرآن كابن تيم « ت ٨٤٢هـ » ، ومنهم من قصد إلى دراسة ناحية معينة فى القرآن كالتناسب فى الترتيب بين الآى وسور القرآن مثلما فعل برهان الدين البقاعى « ت ٨٨٥هـ » فى كتابه « نظم الدرر فى تناسب الآى والسور » ، ومنهم من قام بوضع اختصار لكتب التفسير السابقة كابن إمام الكاملية « ت ٨٦٤هـ » الذى اختصر « تفسير البيضاوى » .

هـ ـ التصوف :

التصوف ـ كما يذكر ابن خلدون « ت ٨٠٨هـ » ـ علم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا ، وكان ذلك عامًا بين الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية ، والمتصوفة[٥] ، وهذا العلم مضبوط بالكتاب والسنّة[٦] .

---

(١) البقاعى « إظهار العصر » ص ٣٧.
(٢) محمد عبد الله « الحياة الاجتماعية بالقدس » ص ٥٧.
(٣) ابن أرسلان : انظر : ص ٣٣٢ .
(٤) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٨٤ .
(٥) ابن خلدون « المقدمة » ص ٣٢٨ ، د. أمين يوسف « فى أصل مصطلح التصوف » ص ١٢٨، مجلة البحوث والدراسات الصوفية ، عدد (١) جمادى الأخرى ١٤٢٤هـ ، أغسطس ٢٠٠٣م .
(٦) الواسطى « محمد بن عمر « ت ٨٤٩هـ » » « قواعد الصوفية » ص ٥، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٦٢ تصوف) ، ومكروفيلم (٣٢٥٩٠) .

ولقد صنّف علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ فى هذا العلم مؤلفات علمية رصينة محكمة .

ومن علماء مصر الذين صنّفوا المُؤلفات العلمية فى هذا العلم ، العالم شمس الدين الغمرى[١] « ت ٨٤٩هـ » ، الذى صنّف « قواعد الصوفية » ، وهذا الكتاب يوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية[*] برقم (٢٦٢ تصوف)[٢] .

والعالم شمس الدين السخاوى[٣] « ت ٩٠٢هـ » الذى صنّف « القول المُنبى فى ترجمة ابن عربى » ، وهذا الكتاب مخطوط ببرلين[٤] برقم (Spr ٢٨٤٩)[٥] .

والعالم جلال الدين السيوطى[٦] « ت ٩١١هـ » الذى صنّف « تذكرة النفس » فى التصوف ، و « تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية » ـ وهو مطبوع[٧] ـ ، والعالم زكريا الأنصارى[٨] « ت ٩٢٦هـ » الذى صنّف « قواعد الصوفية » ، وشرح « الرسالة القشيرية[*] »[٩] .

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنفوا فى هذا العلم ، العالم تقى الدين

---

(١) شمس الدين الغمرى : محمد بن عمر ، تفقه على شيوخ عصره ، كان من العلماء الزهاد ، توفى ٨٤٩هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٢٣٨.

(*) كما توجد نسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم (١٣٨ تصوف تيمور) ، ومكروفيلم (٤١٠٨) ، انظر : Denis Gril "Sources Manuscrites De L'Histoire Du Soufisme A Dar Al-Kutub UN Premier Bila" p. 163.

(٢) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٢٣٩، إسماعيل البغدادى « إيضاح المكنون » ح ٣ ص ٢٤٢.

(٣) شمس الدين السخاوى : انظر : ص ٣٣٧.

(٤) د. أحمد الطيب « دراسات الفرنسيين عن ابن عربى » ص ٣٧١، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م .

(٥) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ١٧.

(٦) جلال الدين السيوطى : انظر : ص ٣٣٧.

(٧) السيوطى « التحدث بنعمة الله » ص ١١٣، ١٢٠.

(٨) زكريا الأنصارى : انظر : ص ٣٣٧.

(*) الرسالة القشيرية : ألفها عبد الكريم القشيرى «ت٤٦٥هـ» ، وهى أربعة وخمسين بابًا وثلاثة فصول ، وهى عمدة فى هذا الفن ، انظر : حاجى خليفة «كشف الظنون» ح ١ ص ٨٨٢.

(٩) الغزى « الكواكب السائرة » ص ١٩٨، ٢٠٢، تحقيق جبرائيل سليمان ، بيروت ، « د .ت » .

الحصنى[١] «ت ٨٢٩هـ»، الذى صنّف «سير السالك فى أسنى المسالك»[٢]، و«المؤمنات الصالحات والإيقاظ من المهلكات»[٣]، والعالم ابن المبرد[٤] «ت ٩٠٩هـ» الذى صنّف «صدق التشوف إلى علم التصوف»، و«يد العلقة بلبس الخرقة[*]»[٥].

ومن علماء حلب، الذين صنفوا فى هذا العلم، ابن الشماع[٦] الذى صنّف «منشأ الأغاليط فى اصطلاح الصوفية»[٧].

ومن علماء طرابلس الشام، الذين صنفوا فى هذا العلم، تاج الدين عبد الوهاب[٨] «ت ٨٩٥هـ»، الذى صنّف «مختصر الرعاية فى التصوف»[٩].

ويتضح مما سبق عناية علماء مصر والشام بحركة التأليف العلمى فى علم التصوف، ولعل ذلك بسبب ازدهار الحركة الصوفية وكثرة من انتحل طريقها ودان بأفكارها فى العصر المملوكى[١٠]، ولقد تنوعت تلك المؤلفات من حيث الموضوعات التى طرقتها تنوعًا

---

(١) تقى الدين الحصنى: انظر: ص ٣٣٠.

(٢) هذا الكتاب يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (٨٥٩ تصوف) ومكروفيلم (٣٤٩٠٤)، كما توجد نسخة أخرى برقم (١٤٧٩ تاريخ تيمور)، انظر:
Denis Gril "Sources Manuscrites" p. 161.

(٣) يوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (٤٢٤١ تصوف) ومكروفيلم (٣٣٣٥٥).

(٤) ابن المبرد: انظر: ص ٣٣٨.

(*) **الخِرْقَة**: القطعة أو المزقة من الثوب اكتسبت لدى الصوفية دلالة ترمز إلى ثقة الشيخ بمن يلبس الخرقة ـ أى المريد ـ بالتزام أصول الطريقة الصوفية التى يعتنقها، وذلك بعد اجتيازه ثلاث سنوات من الرياضة والمجاهدة وتهذيب النفس، انظر: د. إحسان ذنون الثامرى «رسائل من التراث الصوفى فى لبس الخرقة»، دار الرازى، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٥) ابن طولون «الفلك المشحون» ص ١٧.

(٦) ابن الشماع: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، وكان من كبار علماء حلب، برع فى علم الكلام والتصوف، انظر: ابن الطباخ «إعلام النبلاء» ح ٥ ص ٢٦١.

(٧) ابن الطباخ «إعلام النبلاء» ح ٥ ص ٢٦١.

(٨) تاج الدين عبد الوهاب: عبد الوهاب بن محمد، تفقه بشيوخ عصره، درس وأفتى، وخطب بطرابلس، توفى ٨٩٥هـ، انظر: ابن الملا الحلبى «متعة الأذهان» ح ١ ص ٤٨٧.

(٩) ابن طولون «ذخائر القصر» ص ٢٥٦.

(١٠) أحمد محمود «الدور السياسى والحضارى للصوفية فى مصر» ص ٥٥٢.

واضحًا، فمنها ما عنى بالحديث عن الطريق الصوفى وبيان أركانه وقواعده وشروط الانتساب إليه ونحو ذلك، ومنها ما كان ترجمة لفريق من الصوفية البارزين، ومنها ما كان شرحًا لكتب وضعها بعض متقدمى الصوفية وشغلت مكانة متميزة فى علم التصوف مثل كتاب «الرسالة القشيرية» للإمام القشيرى.

و ـ المنطق:

علم المنطق، هو العلم الذى يشتمل على القوانين، التى من شأنها أن تقوّم العقل وتسدد الإنسان نحو الصواب فى كل ما يمكن أن يخطأ فيه من المعقولات، فهو يعصم الذهن عن الخطأ فى الفكر، كما يعصم علم النحو اللسان من الخطأ[١].

ولقد صنّف علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ فى علم المنطق[٢] مُؤلفات علمية رصينة مُحكمة.

فمن علماء مصر الذين صنّفوا فى هذا العلم، العالم قاسم بن قطلوبغا[٣] «ت ٨٧٩هـ» الذى صنّف «شرح ميزان النظر فى المنطق» لابن سينا[٤].

---

(١) الفارابى «إحصاء العلوم» ص ٥٣، ٥٤، تحقيق د. عثمان أمين، دار الفكر العربى، القاهرة، ط ٢ (١٩٤٩م)، د. عبد اللطيف محمد «التفكير المنطقى» ص ١٠، دار الثقافة العربية، ط ٣ (١٩٩٧م).

(٢) دار جدل بين علماء العصر المملوكى حول حكم تدريس المنطق، فمنهم من أفتى بأنه علم نافع، وأنه علم عقلى محض كالحساب كزكريا الأنصارى «ت ٩٢٦هـ»، ومنهم من أفتى بتحريمه كالسيوطى «ت ٩١١هـ»، انظر: زكريا الأنصارى «فتاوى زكريا الأنصارى» ص ٣١٢، السيوطى «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» ص ١٤، ٣٢، نشره على سامى النشار، مكتبة الخانجى، مصر، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، السيوطى «جهد القريحة فى تجريد النصيحة» ص ٢٠١، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

(٣) ابن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا، تفقه على شيوخ عصره، درس، وأفتى، توفى ٨٧٩هـ، انظر: ابن تغرى بردى «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى» ح ٩ ص ١٠، تحقيق د. محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٩٠، ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٩ ص ١٠، حاجى خليفة «كشف الظنون» ح ٢ ص ١٩١٩.

والعالم عز الدين أبو البركات[١] « ت ٨٧٦هـ » ، الذى كتب على « الجمل للخُوْنَجى » ، وكتاب الجمل هو كتاب « الجمل[٢] فى مختصر نهاية الأمل » فى قواعد المنطق وأحكامه ، للقاضى أفضل الدين محمد بن نامور الخُوْنَجى المتوفى « ٦٢٤هـ » أو « ت ٦٤٩هـ » ، كما نظم أبو البركات فى المنطق « إيساغوجى » نحو ستين بيتًا ، وإيساغوجى[٣] لفظ يونانى معناه الكليات الخمس ـ أى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ـ وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق ، وصنّف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، والمشهور المتداول هو المختصر المنسوب إلى أثير الدين مفضل بن عمر الأبهرى المتوفى فى حدود سنة سبعمائة ، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق ، وقد سُمِّى إيساغوجى مجازًا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل[٤] .

والعالم زكريا الأنصارى[٥] « ت ٩٢٦هـ » الذى شرح « إيساغوجى » ، والذى يُعرف بـ « المطلع على إيساغوجى » ، وهذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١/٤٥٧) مجاميع ، كما أنه طبع[٦] عام ١٢٨٢هـ « بولاق » فى مجموعة رقم ٩٣[٧] .

ومن علماء الشام ، برهان الدين المقدسى[٨] الذى صنف «الجمل» فى المنطق[٩] .

---

(١) عز الدين أبو البركات : انظر : ص ٣٤٤.

(٢) طاش كبرى زاده « أحمد بن مصطفى « ت ٩٦٨هـ » » « مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم » ح ١ ص ٢٩٨، تحقيق كامل كامل بكرى ، عبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، حاجى خليفة « كشف الظنون » ح ١ ص ٦٠٢.

(٣) حاجى خليفة « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ح ١ ص ٦٠٢، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٤) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢٩.

(٥) زكريا الأنصارى : انظر : ص ٣٣٧.

(٦) يوسف سركيس « معجم المطبوعات » ح ١ ص ٤٨٥.

(٧) الغزى « الكواكب السائرة » ص ٢٠٢.

(٨) برهان الدين المقدسى : ص ٣٤٢ .

(٩) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ١٣٥ .

والعالم الشهاب الإبشيطى[1]، الذى صنّف «شرح الجمل[2] للخُوْنَجى»، و«إيساغوجى»[3].

والعالم الجلال[4] المحلى «ت ٨٦٤هـ» الذى له «شرح الشمسية»، والشمسية متن مختصر فى المنطق[5] لنجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكابتى «ت ٦٧٥هـ»، واسم هذه الرسالة «الرسالة الشمسية فى القواعد المنطقية»[10].

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذين صنّفوا فى هذا العلم، العالم برهان الدين البقاعى[6] «ت ٨٨٥هـ» الذى صنّف «تهذيب الجمل للخونجى»، و«التتميم[*] على إيساغوجى[7]»[8]، والعالم رضى الدين ابن الغزى[9] «ت ٩٣٥هـ»، الذى له منظومة فى

---

(١) الشهاب الأبشيطى: أحمد بن إسماعيل، تفقه على شيوخ عصره، درس، برع فى الفقه وأصوله، والمنطق، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٣٥.

(٢) الجمل: انظر: ص ٣٤٩.

(٣) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) الجلال المحلى: محمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه والمنطق، توفى ٨٦٤هـ، انظر: السخاوى «الذيل على رفع الأصر» ص ٢٣٤.

(٥) عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ح ٧ ص ١٥٩.

(١٠) السخاوى «الذيل على رفع الأصر» ص ٢٣٤.

(٦) برهان الدين البقاعى: انظر: ص ٣٣٦.

(٧) إيساغوجى: انظر: ص ٣٤٩.

(*) توجد نسخة من هذا المُؤلف بمكتبة الأسد بدمشق برقم (١٤١١٤)، انظر: خير الله الشريف «الإمام البقاعى ومؤلفاته» ص ٨١، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة (٣)، العدد (٩) محرم ١٤١٦هـ/ يونيو ١٩٩٥م، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبى.

(٨) البقاعى «إظهار العصر ٨٥٥هـ ـ ذى الحجة ٨٥٧هـ» ص ٣٤، ٣٥، تحقيق د. محمد سالم، دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢م، حاجى خليفة «كشف الظنون» ح ١ ص ٦٠٢، خير الله الشريف «الإمام البقاعى ومؤلفاته» ص ٨١، ٨٥.

(٩) رضى الدين ابن الغزى: رضى الدين أبو الفضل بن أبى البركات، تفقه على شيوخ عصره، ناب فى قضاء دمشق، درس وأفتى، توفى ٩٣٥هـ، انظر: ابن طولون «ذخائر القصر» ص ٤٩٢، ٤٩٣.

obeikandl.com

المنطق بعنوان «حسن المنطق فى علمى الجدل والمنطق»[1].

ويتضح مما سبق أن عناية علماء مصر والشام بالتأليف العلمى فى علم المنطق كانت عناية قليلة، ولعل ذلك كان راجعًا إلى ذلك الجدل بين علماء العصر المملوكى حول حكم تدريس المنطق، فمنهم من أفتى بأنه علم نافع، وأنه علم عقلى محض كالحساب كزكريا الأنصارى «ت ٩٢٦هـ»، ومنهم من أفتى بتحريمه كالسيوطى «ت ٩١١هـ».

ولقد اقتصرت غالب مصنفات علماء مصر والشام على شروح لكتب المتقدمين فى ذلك العلم ككتاب «شرح ميزان المنظر فى المنطق» لابن سينا، كما فعل قاسم بن قطلوبغا، وكتاب «الجمل» للخُوْنَجى، كما فعل عز الدين أبو البركات، وكتاب «الشمسية» للكابتى، كما فعل الجلال المحلى «ت ٨٦٤هـ»، ومنهم من صنّف فى علم المنطق «إيساغوجى» مثلما فعل عز الدين أبو البركات «ت ٨٧٦هـ»، ورضى الدين ابن الغزى «ت ٩٣٥هـ» الذى له منظومة فى المنطق».

(١) ابن طولون «ذخائر القصر» ص ٤٩٢، ٤٩٣.

obeikandl.com

٢ ـ العلماء والتدريس بالمؤسسات العلمية

تنوعت المؤسسات العلمية فى العصر المملوكى ، حيث لم تقتصر على المدارس[١] فقط ، بل شملت الجوامع كجامع ابن طولون[٢] بمصر ، والجامع الأموى[٣] بدمشق ، والجامع

---

(١) **المدرسة** : كان العرب والمسلمون يطلقون على مكان دراسة العلوم « دار العلم » ، وكانت مدينة نيسابور أول مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على « دار العلم » ، وكان ذلك بعد الأربعمائة من سنى الهجرة ، على أساس أن المدرسة التى شيدها أبو بكر بن فورك « ت ٤٠٦هـ » هى اقدم هذه المدارس ، يليها المدرسة البيهقية التى شيدها أبو بكر البيهقى « ت ٤٥٨هـ » عام ٤٥٠هـ ، والمدرسة السعيدية التى شيدها الأمير نصر بن سبكتكين أمير نيسابور ، ومع ذلك فقد أجمعت الدراسات التاريخية على أن الازدهار الحقيقى لإنشاء المدارس لم يتم إلا على يد الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى « ت ٤٨٥هـ » الذى أنشأ مدارس عديدة فى كل من بغداد ، والبصرة ، والموصل ، ونيسابور ، وعرفت جميعًا بالنظامية ، وأصبحت المدرسة النظامية نموذجًا يحتذى ، وأثر على جميع المدارس التى جاءت بعدها فى الشكل والوظيفة ، انظر : ابن علوان الحموى « ت ٩٣٦هـ » « الأمر الدارس فى الأحكام المتعلقة بالمدارس » ص ٥٢ ، تحقيق د. عماد الدين غانم ، نشرته مجلة الوثائق والمخطوطات ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى ، السنة الثالثة ، العدد (٣) عام ١٩٨٨م ، د. أحمد عبد الرازق « الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى « العلوم العقلية » » ص ٣٣ ، ٣٤ ، دار الفكر العربى ، ط ٢ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، د. أحمد رمضان « الإيجازات والتوقيعات » ص ٥ ، د. أحمد رمضان « المدارس والمذهب الشافعى » ص ٢ ، د. حسن شميسانى « مدارس دمشق فى العصر الأيوبى » ص ١٣ .

(٢) **جامع ابن طولون** : يقع شرقى حىّ السيدة زينب جنوبى القاهرة ، فى موقع بمدينة القطائع التى أنشأها أحمد بن طولون ، وشرح أحمد بن طولون فى بناءه ٢٦٣هـ ، وأتم بناءه ٢٦٥هـ ، وكان هذا الجامع فى العصر المملوكى شهيرًا بدروس التفسير ، والحديث ، والفقه ، ونحو ذلك ، انظر : د. كرم حلمى « المسجد ودوره الحضارى فى ضوء مكانة جامع ابن طولون » ص ١٤٢ ، ١٤٨ ، بحث نشر ضمن أعمال « ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، عام ٢٠٠٢م ، وتم نشره فى كتاب بعنوان « الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى » ، دار عين للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

(٣) **الجامع الأموى بدمشق** : هو الجامع الذى أنشأه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك عام ٨٩هـ ، وكان قد أنفق فى عمارته أموالًا طائلة ، وكان هذا الجامع فى العصر المملوكى يُدرس فيه فنون العلم من تفسير وحديث ونحو ذلك ، انظر : ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ص ٩٤ ، د. محمد أحمد دهمان « مدارس دمشق وحماماتها » ص ٣٢٠ ، مقال بمجلة المجمع العلمى العربى ، دمشق ، عدد رمضان ، ١٣٦٦هـ .

الأموى[1] بحلب، كما شملت كذلك الخانقاوات[2]، كخانقاة ابن مزهر[3] «ت ٨٩٣هـ»، والخانقاة الدودارية[4] بالقدس[5].

---

(١) **الجامع الأموى بحلب**: ويسمى - أيضًا - الجامع الكبير، ولقد تم بناءه عندما فتح الصحابى أبو عبيدة مدينة حلب، حيث صالح أهلها على موضع الجامع فاختطه الصحابة، وكان بستانًا للكنيسة العظمى التى تنسب إلى هيلانة أم قسطنطين، ثم قام الخليفة سليمان بن عبد الملك «ت ٩٩هـ» بتوسيع المسجد، وكانت عمارته وفق تخطيط الجامع الأموى بدمشق، وعمارة هذا الجامع حاليًا ترجع للعهد المملوكى باستثناء منارته التى يرجع تاريخها إلى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، وكان هذا الجامع يقوم بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة فى العصر المملوكى، انظر: ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ١ ص ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٣، حامد زيان «حلب فى العصر الزنكى ٤٨٨هـ - ٥٧٩هـ/١٠٩٥ - ١١٨٣م» ص ١٧٠، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٠م، د. عبد الرحمن سليمان «الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن الهجريين» ص ٩٧، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، د. فاطمة محجوب «الموسوعة الذهبية» ح ١١ ص ٤٨١، د. أحمد رمضان «العمائر الدينية فى بلاد الشام فى العصر الأيوبى والمملوكى» ص ١٣٢، مقال بمجلة كلية الآثار «عدد خاص» عام ١٩٧٨م.

(٢) **الخانقاوات**: يذكر ابن بطوطة أن أصل الخانقاة هو الزاوية وجمعها خوانق، أما المقريزى «ت ٨٤٥هـ» فيقول إنها كلمة فارسية مفردها خانكاة وجمعها خوانك، ومعناها بيت أو دار الصوفية، ثم كثر استعمالها على الألسنة، فقيل خانقاة - بالقاف - بدلًا من الكاف، والخوانك حدثت فى الإسلام فى حدود الأربع مائة من سنى الهجرة، وجُعلت لتتخلى الصوفية فيها لعبادة الله من الرجال والنساء على السواء، انظر: المقريزى «المواعظ والاعتبار» ح ٤ ص ٧٢٤، د. عاصم محمد «خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى» ص ٢١، مكتبة مدبولى، ط ١ (١٩٩٧م)، د. نعمان الطيب «الخوانق» ص ٤١٤، مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد (٧) عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٣) ابن مزهر: هو أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى كتابة السر بمصر، ونظر الجيش بها، وله منشآت عمرانية كثيرة بمصر والشام، منها المدرسة الخانقاة التى أنشأها بجوار بيته، توفى ٨٩٣هـ، انظر: ابن شاهين «المعجم المفنن» ص ٥٢، ٥٣، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨٨، السيوطى «نظم العقيان» ص ٩٧، السخاوى «وجيز الكلام» ح ٣ ص ١٠٤٢.

(٤) **الخانقاة الدويدارية**: أنشأ تلك الخانقاة الأمير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدويدار الصالحى النجمى عام ٦٩٥هـ، وكانت تلك الخانقاة يُدرس بها الفقه الشافعى، وكانت تلك الخانقاة عامرة فى القرن التاسع الهجرى، انظر: مجير الدين «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٣٩، د. على منصور «الحياة العلمية فى القدس» ص ٣٥.

(٥) د. عاصم محمد «خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى» ص ٦٩، عبد الغنى =

ولقد كانت للمؤسسات العلمية ـ من مدارس ومساجد وخانقاوات ـ نظمها وطرقها التعليمية وهيئة التدريس بها الذى هيأ الجو العلمى الذى يكفل لها أداء رسالتها على أكمل وجه .

* **النظم التعليمية بالمؤسسات العلمية :**

كان نظام التعليم فى هذه المؤسسات يسير على النهج الذى يراه الواقف ، فلم تكن الدولة تنفق على جميع المؤسسات العلمية ، بل يقتصر ذلك على بعض المؤسسات ، وكانت المؤسسات عمومًا تُنشأ بموجب وقفيات شخصية يحدد شروطها الواقف على المؤسسة العلمية ، فكان يقرر ما يراه للتدريس بها ، فيعيّن المدرسين والطلبة بها ، وفقًا لأحد المذاهب الأربعة ، كما يختار العلوم التى تدرس بها ، ومن ذلك ما يذكره الحافظ شمس الدين الذهبى « ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م » أنّ واقف المدرسة الرواحية بدمشق زكى الدين بن رواحة « ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م » قد أفردها لتدريس الفقه الشافعى ووضع شروطًا قاسية لتعيين المدرسين فى مدرسته ، ولقد كانت تلك الوقفيات هى موارد الإنفاق الرئيسية للمؤسسات العلمية(٦) .

أما عن **المناهج التعليمية** بالمؤسسات العلمية فى العصر المملوكى ، فلقد كانت علوم

= محمود «التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك» ص ١٤٩، ١٦٨، د. أحمد حطيط «التعليم بدمشق فى زمن المماليك» ص ٣٤٢، بحث بمجلة المشرق ، بيروت السنة ٧٥، عدد يوليو ٢٠٠١م ، د. أحمد رمضان «المدارس والمذهب الشافعى» ص ١٢.

(٦) خالد محسن حسان « الحياة العلمية فى الحجاز خلال العصر المملوكى » ص ٣٧٢، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، إبراهيم ياسين « التعليم فى العصر الأيوبى » ص ٦٨، ماجستير ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، ١٩٨٦م ، د. أحمد حطيط « التعليم بدمشق فى زمن المماليك » ص ٣٤٢، بحث بمجلة المشرق ، بيروت ، السنة (٧٥) عدد يوليو ، ٢٠٠١م ، د. أمينة بيطار « التعليم فى دمشق فى القرن السادس الهجرى » ص ٢٤٣، بحث ضمن ذكرى الاحتفال بمؤرخ دمشق ابن عساكر بمناسبة مرور تسعمائة سنة على ولادته ، ولقد نشرت بحوث الاحتفالية ، وزارة التعليم العالى فى سوريا ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامى إلى جانب علوم اللغة العربية هى العلوم الرئيسية التى تدرس بتلك المؤسسات ، ولم تكن مناهج التدريس محددة بدقة كى يتقيد بها العالم والمتعلم ، وغالبًا ما كان يختار العالم عدد من الكتب فى الفقه أو الحديث يتعلمها الطالب مثل كتاب « التنبيه » أو « المنهاج » للنووى « ت ٦٧٦هـ » وهما فى فروع الفقه الشافعى ، أو « صحيح البخارى » و « صحيح مسلم » فى الحديث النبوى ، بالإضافة إلى بعض القراءات التى يراها ضرورية للمتعلم[١] .

أمّا عن **طرق التدريس** بتلك المؤسسات فكانت طريقة الإملاء الطريقة الفضلى لتدريس العلوم الدينية من فقه وحديث ونحو ذلك ، حيث كان المدرس يملى على الطلبة من ذاكرته حصيلة أبحاثه وخلاصة ما اطلع عليه مستخدمًا حينًا مرجعًا نادرًا ومرتفع الثمن ليس بمقدور المتعلم اقتناؤه ، ومعتمدًا حينًا آخر على ملاحظات مدونة يستعين بها فى التدريس[٢] .

ومن الطرق ـ أيضًا ـ التى كانت سائدة فى ذلك العصر طريقة الإلقاء والمحاضرة حيث يضع الشيخ كتابًا معينًا بين أيدى الطلبة ويطلب إليهم أن يأتوا حجرة التدريس ، بعد أن يكون قد قرأوا على أنفسهم الدرس الجديد ، ثم يبدأ الشيخ محاضرته بتقديم فكرة عامة عن موضوع الدرس ، ومن ثم يعرض بإيجاز لأفكاره الرئيسية متجنبًا التفاصيل المعقدة لينتقل بعد ذلك إلى قراءة الدرس ، فيما الطلبة يتابعون النص فى نسخ الكتاب خاصتهم ، والشيخ

---

(١) د. عفاف صبرة « المدارس فى العصر الأيوبى » ص ١٧٠، بحث ضمن أبحاث ندوة « المدارس فى مصر الإسلامية » ، التى نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى سلسلة تاريخ المصريين (٥١) عام ١٩٩٢م ، خالد محسن « الحياة العلمية فى الحجاز خلال العصر المملوكى » ص ٣٧٢، د. أمينة بيطار « التعليم فى دمشق » ص ٢٥٩، د. أحمد حطيط « التعليم بدمشق زمن المماليك » ص ٣٥٤.

(٢) د. عفاف صبرة « المدارس فى العصر الأيوبى » ص ١٠، د. محمد كمال الدين « مجالس الإملاء فى مصر فى ظل حكم سلاطين المماليك » ص ٣٩٢، بحث ضمن أبحاث كتاب « ندوة المدارس فى مصر الإسلامية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م ، د. أحمد حطيط « التعليم فى دمشق » ص ٣٥٩، د. منير الدين أحمد «تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم فى القرن الخامس الهجرى» ص ٦٣، ترجمة د. منير الدين أحمد ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، الصمدى خالد «مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجرى» ص ١٤١.

يتوقف عن القراءة بين الفينة والفينة كى يشرح بعض الأمور أو ليوضح بعض المعانى[١].

أمّا عن **أعضاء هيئة التدريس** بتلك المؤسسات، فلقد كانت لكل مؤسسة علمية هيئة تدريس تتألف من فئات ثلاث الشيخ أو الصدر، والمدرس، والمعيد، ويتم تصنيف رتبهم العلمية على أساس العلم والكفاية، وكان فقهاء المؤسسات العلمية من حيث تحصيلهم العلمى فئتين الفقهاء المنتهون ولهم مهمة الإشراف على حسن سير التدريس، والفقهاء المدرسون ويناط بهم الشأن التعليمى كل بحسب اختصاصه، ولقد جرت العادة أن يكون الشيخ أو الصدر من مشاهير العلماء ومن أرسخهم فى الدين والعلم، وهو رأس المؤسسة التعليمية، أما المعيد فهو المدرس الثانى للطالب يعيد للطلبة الدرس ويوضح لهم ما قرره المدرسين[٢].

ولقد كانت تلك المؤسسات العلمية تمنح طلابها الإجازات العلمية وهى أشبه بالدرجات العلمية فى عصرنا الحالى ينالها الطالب بعد أن يشعر أستاذه بمقدرته وكفاءته، وكانت الإجازة نوعين إجازة عامة أو تسمى إجازة الفتيا وهى شهادة يمنحها الشيخ لأحد طلابه يشهد فيها أن الأخير قد أتم دراسته وأضحى مؤهلًا للفتيا والتدريس، وإجازة تحريرية تتوزع بين فئات ثلاث إجازة بعراضة الكتب وهى أن يحفظ المتعلم كتابًا فى الفقه أو الحديث أو غير ذلك من المعارف المتصلة بعلوم الدين ثم يعرضه على مشايخ العصر، فيختبره الشيخ ليطمئن إلى استيعاب الطالب مضمون الكتاب، فيكتب له إجازة فى عرضه، وإجازة بالمرويات وهى الشهادة التى يمنحها الفقهاء والعلماء للمتقدمين فى العلم المقيمين بعيدًا عنهم، فيجيزون لهم فيها الرواية أو السماع عنهم بناءًا على استدعاءات خاصة عبر المراسلة، وإجازة المناولة وهى أن يناول الشيخ الطالب الكتاب الذى رواه أو الحديث الذى اختاره ويطلب إليه أن يرويه بدوره[٣].

---

(١) د. عفاف صبرة «المدارس فى العصر الأيوبى» ص ١٩٠، د. أحمد حطيط «التعليم فى دمشق» ص ٣٦١.

(٢) خالد محسن «الحياة العلمية فى الحجاز خلال العصر المملوكى» ص ٣٧٢، د. أحمد حطيط «التعليم بدمشق فى زمن المماليك» ص ٣٦٧، د. أمينة بيطار «التعليم فى دمشق» ص ٢٥١، ٢٥٨، د. عبد الغنى محمود «التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك» ص٢٠٣، ٢٠٨، دار المعارف، ٢٠٠٢م.

(٣) د. أحمد حطيط «التعليم فى دمشق» ص ٣٦١، د. أمينة بيطار «التعليم فى دمشق» ص ٢٤٥.

ولقد قام علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ بتدريس العلوم الدينية فى تلك المؤسسات العلمية[١] ، حيث أفادوا طلاب العلم من علمهم الوافر ، حيث صرف كثير من هؤلاء العلماء حياتهم فى التدريس حتى انقضاء أعمارهم .

أ ـ الفقه :

فمن علماء مصر الذين قاموا بتدريس الفقه بالمؤسسات العلمية ، صدر الدين المناوى[٢] « ت ٨٠٣هـ »[٣] ، وسراج الدين البلقينى[٤] « ت ٨٠٥هـ »[٥] ، وشمس الدين البرماوى[٦] « ت ٨٣١هـ »[٧] ، وشمس الدين البساطى[٨] « ت ٨٤٢هـ »[٩] ، وشهاب الدين الطنتدائى[١٠] « ت ٨٣٢هـ »[١١] ، .....

---

(١) لم تحدد لنا المصادر التاريخية أسماء المؤسسات العلمية التى درس بها علماء مصر والشام سواء كانت مدارس أو جوامع أو خانقاوات ، واكتفت فقط بذكر أن العالم درس الفقه أو الحديث أو نحو ذلك .

(٢) صدر الدين المناوى : محمد بن إبراهيم ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى قضاء الشافعية بمصر ، توفى ٨٠٣هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٢٨.

(٣) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٢٤٩، المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ٢٨.

(٤) سراج الدين البلقينى : عمر بن رسلان ، تفقه على شيوخ عصره ، انتهت إليه مشيخة الفقه فى عصره ، درس ، وأفتى ، توفى عام ٨٠٥هـ ، انظر السخاوى « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٨٥، المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٤٣٤.

(٥) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٨٥، المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٤٣٤.

(٦) شمس الدين البرماوى : محمد بن عبد الدائم ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، وأفتى ، توفى ٨٣١هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٥٦.

(٧) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٥٦.

(٨) شمس الدين البساطى : محمد بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء المالكية بمصر ، توفى ٨٤٢هـ ، انظر : المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٠.

(٩) المقريزى « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٠.

(١٠) شهاب الدين الطنتدائى : أحمد بن عبد الرحمن ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، وخطب ، توفى ٨٣٢هـ ، انظر : المقريزى « درر االعقود » ح ١ ص ٣١٥.

(١١) المقريزى « درر العقود » ح ١ ص ٣١٥.

وقاسم بن قطلوبغا[1] «ت ٨٧٩هـ»[2]، وعز الدين[3] البكرى[4]، وشمس الدين الغَزَّاقى[5] «ت ٨١٦هـ»[6].

ومن علماء دمشق ـ فى القرن التاسع ـ الذى قاموا بتدريس الفقه بالمؤسسات العلمية، شهاب الدين الحسبانى[7] «ت ٨١٦هـ»[8]، وشهاب الدين الدمشقى[9] «ت ٨٢٢هـ»[10]، وابن الزهرى[11] «ت ٨٢٤هـ»[12]، وإسماعيل المغربى[13] «ت ٨٠٣هـ»[14]، وعلاء الدين الدمشقى[15] «ت ٨٤٤هـ»[10].

---

(١) قاسم بن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا، تفقه على شيوخ عصره، برع فى فقه الحنفية، توفى ٨٧٩هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٨٧.

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٨٧، المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٢٢.

(٣) عز الدين البكرى: عبد العزيز بن على، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الحنابلة بمصر عام ٨٢٩هـ، درس، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٢٩٦.

(٤) المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٢٩٦.

(٥) شمس الدين الغَزَّاقى: محمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، درس بالجامع الأزهر الفقه، توفى ٨١٦هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٣٩٤.

(٦) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٣٩٤.

(٧) شهاب الدين الحسبانى: انظر: ص ٣٣١.

(٨) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٥٦، المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٣٦٦.

(٩) شهاب الدين الدمشقى: انظر: ص ٣٣١.

(١٠) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣١١، المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٢٤٩، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣٥٦.

(١١) ابن الزهرى: عبد الوهاب بن صالح، تفقه على شيوخ عصره، صار شيخ الشافعية بدمشق فى عصره، درس، وأفتى، توفى ٨٢٤هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣٢٠.

(١٢) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣٢٠.

(١٣) إسماعيل المغربى: إسماعيل بن عبد الله، تفقه على شيوخ عصره، ناب فى القضاء بدمشق، أفتى، توفى ٨٠٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٠١.

(١٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٠١.

(١٥) علاء الدين الدمشقى: انظر: ص ٢١.

(١٦) المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٥٤٢.

obeikandl.com

ومن علماء حلب، الذين قاموا بتدريس الفقه بالمؤسسات العلمية، تاج الأصفهندى[1] «ت ٨٠٧هـ»[2]، وشرف الدين أبو البركات[3] «ت ٨٠٣هـ»[4]، وعز الدين الحاضرى[5] «ت ٨٢٤هـ»[6]، وابن خطيب الناصرية[7] «ت ٨٤٣هـ»[8].

ومن علماء القدس، الذين قاموا بتدريس الفقه بالمؤسسات العلمية ابن أرسلان[9] «ت ٨٤٤هـ»[10]، وكمال الدين بن أبى شريف[11] «ت ٩٠٥هـ»[12].

---

(١) تاج الأصفهندى: تاج بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، وكان من كبار علماء حلب، توفى ٨٠٧هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٦٥.

(٢) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٦٥.

(٣) شرف الدين أبو البركات: موسى بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس، وأفتى، وتولى القضاء بها، توفى ٨٠٣هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٩٩.

(٤) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٢٩٩.

(٥) عز الدين الحاضرى: محمد بن خليل، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه الحنفى، توفى ٨٢٤هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ١٠٠.

(٦) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ١٠٠، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٢٣٢.

(٧) ابن خطيب الناصرية: على بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بحلب، توفى ٨٤٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ٣٠٦.

(٨) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ٣٠٦.

(٩) ابن أرسلان: انظر: ص ٣٣٢.

(١٠) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٨٥، مجير الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ١٧٤.

(١١) كمال الدين بن أبى شريف: انظر: ص ٣٣٢.

(١٢) مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٣٣٧.

obeikandl.com

ب ـ الحديث :

فمن علماء مصر، الذين درسوا الحديث بالمؤسسات العلمية، زين الدين العراقى[١] «ت ٨٠٦هـ»[٢]، وولى الدين أبو زرعة[٣] «ت ٨٢٦هـ»[٤]، وجلال الدين البغدادى[٥] «ت ٨١٢هـ»[٦]، وابن الملقن[٧] «ت ٨٠٤هـ»[٨]، وابن حجر العسقلانى[٩] «ت ٨٥٢هـ»[١٠]، ومجد الدين[١١] الحنفى[١٢]، وجلال الدين السيوطى[١٣] «ت ٩١١هـ»[١٤].

ومن علماء دمشق، الذين درسوا الحديث بالمؤسسات العلمية، علاء الدين بن الجزرى[١٥]

---

(١) زين الدين العراقى: انظر: ص ٣٣٤.

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ١٧١، المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٢٣٦، ابن فهد «لحظ الألحاظ» ص ٢٢٠.

(٣) ولى الدين أبو زرعة: انظر: ص ٣٣٥.

(٤) ابن فهد «لحظ الألحاظ» ص ٢٨٤، المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٣٠٩.

(٥) جلال الدين البغدادى: نصر الله بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الحديث، ودرس الحديث، توفى ٨١٢هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٥٠٣.

(٦) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٥٠٣.

(٧) ابن الملقن: انظر: ص ٣٣٤.

(٨) ابن فهد «لحظ الألحاظ» ص ١٩٧، المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٣٤٠، ابن قاضى شهبة «تاريخ ابن قاضى شهبة» ح ٤ ص ٢٨١.

(٩) ابن حجر العسقلانى: انظر: ص ٣٣٦.

(١٠) البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ١٢١.

(١١) مجد الدين الحنفى: إسماعيل بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الحنفية بمصر، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٤١٠.

(١٢) المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٤١٠.

(١٣) جلال الدين السيوطى: انظر ص ٣٣٧.

(١٤) السيوطى «التحدث بنعمة الله» ص ٨٨.

(١٥) علاء الدين بن الجزرى: على بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، درس الحديث بالجامع الأموى بدمشق، توفى ٨١٣هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٥٣٩.

obeikandl.com

« ت ٨١٣هـ »[١]، وابن زكنون[٢] « ت ٨٣٧هـ »[٣]، وابن ناصر الدين[٤] « ت ٨٤٢هـ »[٥]، وعلاء الدين الدمشقي[٦] « ت ٨٤٤هـ »[٧].

ومن علماء حلب، الذين درسوا الحديث بالمؤسسات العلمية، ابن خطيب الناصرية[٨] « ت ٨٤٣هـ »[٩]، وسبط ابن العجمي[١٠] « ت ٨٤١هـ »[١١].

القراءات :

من علماء مصر الذين درسوا القراءات بالمؤسسات العلمية، أبو العباس ابن السويداوي[١٢] « ت ٨٠٤هـ »[١٣]، وشمس الدين الشطنوفي[١٤] « ت ٨٣٢هـ »[١٥]،

---

(١) المقريزي « درر العقود » ح ٢ ص ٥٣٩.

(٢) ابن زكنون : انظر : ص ٣٤.

(٣) المقريزي « درر العقود » ح ٢ ص ٤٨٢.

(٤) ابن ناصر الدين : انظر : ص ٣٤.

(٥) ابن فهد « لحظ الألحاظ » ص ٣١٧، ابن تغرى « المنهل الصافي » ح ٩ ص ٢٣٤، المقريزي « درر العقود » ح ٣ ص ١٢٨.

(٦) علاء الدين الدمشقي : انظر : ص ٢١.

(٧) المقريزي « درر العقود » ح ٢ ص ٥٤٢.

(٨) ابن خطيب الناصرية :

(٩) ابن الطباخ « إعلام النبلاء » ح ٥ ص ٢١٥.

(١٠) سبط ابن العجمي : انظر : ص ٣٦.

(١١) السخاوي « الضوء اللامع » ح ٢ ص ١٣٨، المقريزي « درر العقود » ح ١ ص ٦٥.

(١٢) أبو العباس ابن السويداوي : أحمد بن الحسن، تفقه على شيوخ عصره، درس القراءات، توفي ٨٠٤هـ، انظر : ابن الجزري « غاية النهاية » ح ١ ص ٤٧، السخاوي « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٧٨.

(١٣) ابن الجزري « غاية النهاية » ح ١ ص ٤٧.

(١٤) شمس الدين الشطنوفي : محمد بن إبراهيم، تفقه بشيوخ عصره، درس القراءات بجامع ابن طولون، توفي « ٨٣٢هـ »، انظر : السخاوي « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٢٥٦.

(١٥) المقريزي « درر العقود » ح ٣ ص ٢٣٠، السخاوي « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٢٥٦.

obeikandl.com

وعثمان بن عبد الرحمن[1] «ت ٨٠٤هـ»[2]، وشمس الدين الزَّراتيتى[3] «ت ٨٢٥هـ»[4]، وأبو العباس[5] الأسكندرى[6].

ومن علماء دمشق الذين درسوا القراءات بالمؤسسات العلمية، ابن الجزرى[7]، [8] والزين الدمشقى[9] «ت ٨٧٣هـ»[10]، وأبو العباس[11] الدمشقى[12].

ومن علماء القدس الذين درسوا القراءات بالمؤسسات العلمية، الحسين التبريزى[13]

---

(١) عثمان بن عبد الرحمن: كان من كبار علماء القراءات بمصر، توفى ٨٠٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ١٣٠، المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٤٢١.

(٢) المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٤٢١، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ١٣٠.

(٣) شمس الدين الزّراتيتى: محمد بن على، تفقه على شيوخ عصره، درس القراءات، توفى ٨٢٥هـ، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٤٣٢.

(٤) المقريزى «درر العقود» ح ٣ ص ٤٣٢.

(٥) أبو العباس الأسكندرى: أحمد بن صالح، كان من كبار علماء القراءات بالأسكندرية، ولد عام ٧٣٣هـ، وعاش بعد عام ٨٠٧هـ، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣١٥، ابن الجزرى «غاية النهاية» ح ١ ص ٦١.

(٦) ابن الجزرى «غاية النهاية» ح ١ ص ٦١.

(٧) ابن الجزرى: أحمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس القراءات بمدارس دمشق، ولد ٧٨٠هـ، انظر: ابن الجزرى «غاية النهاية» ح ١ ص ١٢٩.

(٨) ابن الجزرى «غاية النهاية» ح ١ ص ١٢٩.

(٩) الزين الدمشقى: عبد الرحمن بن أحمد، تفقه بشيوخ عصره، كان من كبار علماء القراءات بدمشق، توفى ٨٧٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ٤٤.

(١٠) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ٤٤، المقريزى «درر العقود» ح ٢ ص ٢٥٣.

(١١) أبو العباس الدمشقى: أحمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، كان من كبار علماء القراءات بدمشق، انظر: المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٣١٧.

(١٢) المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ٣١٧.

(١٣) الحسين التبريزى: الحسين بن حامد، تفقه بشيوخ عصره، درس القراءات بالقدس، توفى ٨٠١هـ، انظر: ابن الجزرى «غاية النهاية» ح ١ ص ٢٣٩.

obeikandl.com

« ت ٨٠١هـ »[١] ، وشهاب الدين[٢] أبو العباس « ت ٨٠٨هـ »[٣] ، وعبد الله المغربى[٤] « ت ٨٢٩هـ »[٥] ، وإبراهيم[٦] بن زقاعة[٧] .

التفسير :

ومن علماء مصر ، الذين درسوا التفسير بالمؤسسات العلمية ، سراج الدين البلقينى[٨] « ت ٨٠٥هـ »[٩] ، وجلال الدين البلقينى[١٠] « ت ٨٢٤هـ »[١١] ، وعلم الدين البلقينى[١٢] « ت ٨٦٨هـ »[١٣] ، وسعد الدين[١٤] الديرى « ت ٨٦٧هـ »[١٥] ، وابن الهمام[١٦] « ت ٨٦١هـ »[١٧] .

ومن علماء القدس برهان الدين المقدسى[١٨] .[١٩]

---

(١) ابن الجزرى « غاية النهاية » ح ١ ص ٢٣٩.

(٢) شهاب الدين أبو العباس : أحمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، كان من علماء القراءات بالقدس ، توفى ٨٠٨هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٥.

(٣) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٥.

(٤) عبد الله المغربى : عبد الله بن إبراهيم ، تفقه على شيوخ عصره ، درس القراءات بالقدس ، توفى ٨٢٩هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٦.

(٥) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٤٦.

(٦) إبراهيم بن زقاعة : كان من كبار علماء القراءات بغزة ، توفى بعد عام ٨٠٠هـ ، انظر : ابن الجزرى « غاية النهاية » ح ١ ص ١٥.

(٧) ابن الجزرى « غاية النهاية » ح ١ ص ١٥ .

(٨) سراج الدين البلقينى : انظر : ص ٣٥٧.

(٩) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٨٦، المقريزى « درر العقود » ح ٢ ص ٤٣٤، الداودى «طبقات المفسرين» ح ٢ ص ٤.

(١٠) جلال الدين البلقينى : انظر ص ٣٤٣.

(١١) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٠٩.

(١٢) علم الدين البلقينى : انظر : ص ٣٤٣.

(١٣) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٣ ص ٣١٢.

(١٤) سعد الدين الديرى : سعد بن محمد ، تفقه بشيوخ عصره ، ولى قضاء الحنفية بمصر ، توفى ٨٦٧هـ ، انظر : ابن تغرى « النجوم الزاهرة » ح ١٦ ص ٢٨٥، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ٢٥٠.

(١٥) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ١٣١.

(١٦) ابن الهمام : انظر : ص ٣٣٠ .

(١٧) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ١٢٧.

(١٨) برهان الدين المقدسى : إبراهيم بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، ولد ٨٣٦هـ ، درس ، انظر : السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ١٣٤ .

(١٩) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

obeikandi.com

٣ ـ العلماء والاجتهاد ومحاربة التعصب والجمود المذهبى

إن المذاهب مدارس فكرية لتفسير مفاهيم الشريعة، وتوضيح معانيها، نشأت وتطورت مع تطور وسائل العلوم والفنون، وبجهود العلماء ونشاطاتهم العلمية والفكرية، وقد اختلفت مناهج تلك المدارس فى تفسير جزئيات المسائل إلى أن استقلت كل مدرسة بمنهج متميز عن أختها فى بعض الأمور، وأخيرًا سمّيت باسم خاص بالانتماء إلى إمام معين كالشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة والظاهرية وما شابه ذلك[١].

ولكن حدث عقب ذلك أن ظهر التقليد والتعصب للمذاهب، وهنا ظهر العلماء المخلصون الذين كانوا يشعرون بمرارة تفرق الأمة الإسلامية وتشتتها، فقد بذلوا جهودهم الطيبة فى دراسة تلك القضية وبحثها للقضاء على التفرق البغيض الذى نشأ بسبب سوء الفهم للقضية، فدعوّ أولًا إلى احترام الأئمة والاستفادة من آرائهم وعدم التعصب المذهبى البغيض الذى نهجه مقلدى المذاهب الأربعة من التعصب والحمية الجاهلية إلى ترجيح مذهب إمامه، وإطلاق لسانه فى غيره بعدم أدب وغير خوف من الله. وأن الأئمة الأعلام أصحاب المذاهب مجتهدون منهم من يصيب ومنهم من يخطأ، والمصيب له أجران، والمخطئ فلا إثم عليه، وله أجر واحد.

وذلك ما دعا إليه عالمين جليلين ـ فى العصر المملوكى ـ، ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ» فى كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، والسيوطى «ت ٩١١هـ» فى كتابه «جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب»[٢].

---

(١) السيوطى «جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب» ص ٧، تحقيق عبد القيوم محمد، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٢) مرعى بن يوسف «ت ١٠٣٣هـ» «تنوير بصائر المقلدين فى مناقب الأئمة المجتهدين» ص ١٣٧، مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (٢١٢٠ تاريخ)، ومكروفيلم (٣٥٧٨٢)، ابن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ص ١٤٨، تحقيق د. محمد سعيد البدرى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ط ١ (١٤١١هـ/١٩٩١م)، السيوطى «جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب» ص ٨، ٣٢ ـ ٣٥.

وثانيًا دعوّا العالمين الجليلين إلى نبذ التقليد، فبالتقليد فقدت الأمة الهداية بالكتاب والسنة، وحدث القول بانسداد باب الاجتهاد(*) وصارت الشريعة هى أقوال الفقهاء وأقوال الفقهاء هى الشريعة، واعتبر كل من يخرج عن أقوال الفقهاء مبتدعًا، لا يوثق بأقواله، ولا يعتد لفتاويه ـ كما يذكر ابن تيمية(١) ـ، كما ندد السيوطى من خلال كتابه «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض» بهؤلاء القائلين المنكرين للاجتهاد الذين عدّوه منكرًا بين العباد، وجهلوا أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات فى كل عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة فى كل قطر، ثم يفند قولهم بأن المجتهد المطق فقد فى عصرنا، ولم يعد موجود إلا المجتهد المقيد، حيث يوضح خطأهم بأن المجتهد المطلق هو الذى وجدت فيه شروط الاجتهاد، فقام بالاجتهاد دون أن يبتكر لنفسه قواعد بل سلك طريقة إمام من أئمة المذاهب فى الاجتهاد، وهذا قول العلماء كالنووى(٢) «ت ٦٧٨هـ» وغيره(٣).

ولقد ظهر فى مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ علماء امتازوا بالاجتهاد والتجديد، ولم يتقيدوا بما جاء فى المذاهب الأربعة، واجتهدوا فى إبداء الرأى والفتوى بما يناسب ظروف المجتمع المتغيرة، دون الخروج عن روح الدين وعدالته، ومن أشهر هؤلاء العلماء(*) سراج الدين البلقينى(٤) «ت ٨٠٥هـ»(٥)،

(*) الاجتهاد: انظر: ص ٣.

(١) ابن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ص ١٤٨.

(٢) محيى الدين النووى: يحيى بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، صار رأس الشافعية بدمشق فى عصره، درس وأفتى، توفى ٦٧٨هـ، انظر: السبكى «طبقات الشافعية» ح ٧ ص ٥١.

(٣) الشعرانى «عبد الوهاب «ت ٩٧٣هـ»» «ذيل الطبقات الكبرى» ص ٣، مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (٦٧٤ تاريخ تيمور)، ومكروفيلم (٢٧٥٢٧)، مرعى بن يوسف «تنوير بصائر المقلدين» ص ١٣٧، السيوطى «التحدث بنعمة الله» ص ٢١٥، تحقيق اليزابث مارى سارتين، مطبعة كمبردج، ١٩٧٥م، السيوطى «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض» ص ٢، ٨، ٢٦، ٣٨، ٤٣، ٦٥، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(*) لم تذكر المصادر التاريخية نماذج من الآراء الاجتهادية لهؤلاء العلماء.

(٤) سراج الدين البلقينى: انظر: ص ٣٥٧.

(٥) الجرجاوى «محمد بن محمد ت ١٣٤٣هـ» «بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين فى =

وابن قطلوبغا[1] «ت ٨٧٩هـ»[2]، والسيوطى[3] «ت ٩١١هـ» الذى صرّح بأنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق على مذهب الإمام الشافعى[4]، وزكريا الأنصارى[5] «ت ٩٢٦هـ»[6].

ومن علماء الشام ـ على سبيل المثال ـ إسماعيل البقاعى[7] «ت ٨٠٦هـ»[8]، وبدر الدين الأنصارى الدمشقى[9] «ت ٨٠٧هـ»[10]، وابن قاضى شهبة[11] «ت ٨٧٤هـ»[12].

= بيان أسماء المجددين» ص ٦١، ٦٢، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٩٨٧ تاريخ)، (١٠٦٤٧ مكروفيلم)، ابن ناصر الدين «شرح بديعة البيان عن موت الأعيان من رجال الحديث» ص١٧٩ .

(١) ابن قطلوبغا: انظر: ص ٣٥٨.

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٨٨، ابن قطلوبغا «تاج التراجم فى طبقات الحنفية» ص ١٤، تحقيق محمد خير رمضان، دمشق، دار القلم، ط ١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

(٣) السيوطى: انظر: ص.

(٤) الشعرانى «ذيل الطبقات الكبرى» ص ٢، الجرجاوى «بغية المقتدين» ص ٧٧، الشعرانى «لواقح الأنوار القدسية فى طبقات العلماء والصوفية» ص ١٨، تحقيق سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، السيوطى «التحدث بنعمة الله» ص ٢٠٥، سعيد شبّار «شروط الاجتهاد قراءة فى جدل الائتلاف والاختلاف» ص ٢٠٣، مقال بدورية «التجديد»، عدد (١٠) جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، أغسطس ٢٠٠١م، قطر، د. محمد الزحيلى «السيوطى وكتابه الأشباه والنظائر فى الفقه» ص ٦٨٤، دورية مجمع اللغة العربية بدمشق، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ أكتوبر ١٩٩٢م.

(٥) زكريا الأنصارى: انظر: ص.

(٦) الجرجاوى «بغية المقتدين» ص ٨٥.

(٧) إسماعيل البقاعى: إسماعيل بن على، تفقه على شيوخ عصره، درس الحديث، توفى ٨٠٦هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٠٣.

(٨) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٠٣، سعود محمد «الحياة الثقافية» ص ٣١٢ .

(٩) بدر الدين الأنصارى: أنس بن على، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، توفى ٨٠٧هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٢٣.

(١٠) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٣٢٣، سعود محمد «الحياة الثقافية» ص ٣١٢ .

(١١) برهان الدين البقاعى: انظر: ص.

(١٢) د. سعود محمد «الحياة الثقافية بدمشق» ص ٣١٢.

obeikandl.com

٤ ـ الخلافات الفكرية بين علماء الأشاعرة والحنابلة

لقد تجددت الخلافات الفكرية بين متكلمى الأشاعرة ـ أتباع أبى الحسن الأشعرى « ت ٣٢٤هـ » ـ ومتكلمى الحنابلة ـ أتباع الإمام أحمد ابن حنبل ـ فى العصر المملوكى ، وقبل أن يعرض الباحث لقضايا الخلاف الرئيسية بين الفريقين ، سيوضح أسس التقارب بين الفريقين ، فمتكلمى الحنابلة والأشاعرة هم أقرب طوائف أهل السنّة إلى بعضهما فى قضايا الأصول ، إلى الحد الذى كان يصنّف فيه بعض أئمة العلم ضمن هؤلاء أو هؤلاء ، ويتنازع فى نسبته مترجمو المذهبين ، ولم يخرج عن ذلك حتى مؤسس المذهب الأشعرى نفسه الإمام أبو الحسن الأشعرى ، الذى ثبت عنه قوله « أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فى الأصول » ، وذلك فى كتابه « الإبانة » ، ومن مسائل الاتفاق الرئيسية بين الفريقين مفهوم النبوة وحقيقتها ، ومسائل السمعيات « الحياة الآخرة ، وحياة البرزخ وما فيها من نعيم وعذاب » ، ومسألة الإمامة والقول فى الصحابة[١] .

أمّا قضايا الخلاف الرئيسية بين علماء الأشاعرة والحنابلة ، فتتمثل فى :

أ ـ مسألة الاستدلال على وجود الله ، فعلماء الحنابلة يرون أن معرفة الله فطرية فى نفوس الخلق ، لا تحتاج إلى سرد الأدلة ولا إلى حشد البراهين على وجوده سبحانه تعالى ، ولا يحتاج إلى النظر إلا من اضطربت عقيدته ، وتعرض للتشكيك والوساوس ، فمن كان على هذا النحو ، فله فى أدلة القرآن العقلية شفاء عن أدلة المتكلمين والفلاسفة ، أمّأ الأشاعرة لا يحتجون بدليل الفطرة على وجود الله إذ يرون أن المعرفة بالله تأتى عن طريق النظر وليست فطرية[٢] .

ب ـ مسألة الأسماء والصفات الإلهية ، الحنابلة مذهبهم إثبات كل ما ورد فى الكتاب

---

(١) مشعل ركابى « أسس الاتفاق والاختلاف فى قضايا أصول الدين بين متكلمى الحنابلة والأشاعرة من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجرى » ص ٤١٥، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٧٦، ٤٩١، ٤٩٣، دكتوراة « قسم الفلسفة » ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

(٢) مشعل ركابى « أسس الاتفاق والاختلاف » ص ١٣٣، ١٤١.

والسنّة من الأسماء والصفات الإلهية، فلا ينفونها ولا يعطلونها، ولكنهم يثبتونها على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى من غير تمثيل ولا تشبيه، أما الأشاعرة فلا يثبتون إلا الصفات المعنوية السبع وهى «الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام»، وذلك لأن العقل دلّ على ثبوتها، أما سواها من الصفات الخبرية كاليد، والوجه فلم يثبتها الأشاعرة بل أولوها إلى معانٍ أخرى مستساغة فى لغة العرب بقصد تنزيه الله عن مشابهة خلقه[1].

وإجمالًا فإن منهج متكلمى الحنابلة قائم على التسليم المطلق للسمع والانقياد التام لمعانيه الظاهرة المحتملة فى لغة العرب، ولا يلجأون إلى التأويل إلا فى حال كون ذلك التأويل مستساغًا فى اللغة مصحوبًا بالقرائن الصارفة لهذا اللفظ عن ظاهره، وهم مع ذلك لا يستغنون عن العقل، بل يرون أن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض بينهما، أو تناقض[2].

أمّا منهج متكلمى الأشاعرة قائم على أن السمع متوقف ثبوته على العقل، فلا يقدم السمع على العقل إن تعارضا، فالسمع إن وافق العقل أخذنا به، وإن عارضه عملنا على التوفيق بينهما، فإن لم يتحقق التوفيق بينهما، صرف السمع عن ظاهره إلى معنى آخر يتوافق مع دلالة العقل، فإن لم يتحقق ذلك، عمل بمقتضى العقل مقدمًا على ما يفيده السمع، وهذا المنهج العقلى الذى استقر عليه الأشاعرة، هو المعمول به والمحكم لديهم فى جميع قضايا الأصول، ويظهر أثره فى آراء الأشاعرة فى التوحيد، والصفات الإلهية، والقدر ـ كما سبق القول[3] ـ.

ولقد تجدد فى العصر المملوكى تلك الخلافات الفكرية بين متكلمى الأشاعرة، ومتكلمى الحنابلة ـ الذين كان رأسهم آنذاك ابن تيمية[4] «ت ٧٢٨هـ» ـ، حيث ألمحت وأشارت

---

(١) مشعل ركابى «أسس الاتفاق والاختلاف» ص ٢٠١، ٤٨٣.

(٢) مشعل ركابى «أسس الاتفاق والاختلاف» ص ٤٧٧.

(٣) مشعل ركابى «أسس الاتفاق والاختلاف» ص ٤٧٧، ٤٧٨.

(٤) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تفقه على شيوخ عصره، صار شيخ الإسلام بدمشق فى عصره، درس وأفتى، توفى ٧٢٨هـ، انظر: ابن العماد «شذرات الذهب» ح ٦ ص ٨٠.

المصادر التاريخية وكتب التراجم المملوكية ـ خلال القرن التاسع ـ إلى طبيعة العلاقة بين علماء الأشاعرة والحنابلة ـ أتباع ابن تيمية ـ، حيث أخذ طريق العنف والتعصب، وأنذر بوقوع فتنة بين الفريقين، ومن ذلك ما حدث بدمشق فى شعبان ٨٢٨هـ/١٤٢٤م عندما جلس تقى الدين الحصنى[١] بالجامع الأموى، واجتمع عليه خلق كثير، فشرع يتكلم فى العقائد، ويصرح بالذم الشديد لابن تيمية، فشق ذلك على الحنابلة، وأشرف الأمر على فتنة وقى الله شرها، وفى شوال من السنة نفسها أصدر السلطان برسباى[٢] مرسومه «بأن لا يتكلم أحد فى العقائد، والمخالفة للكتاب والسنّة وطريقة السلف، وأن لا يتعرض أحد إلى ابن تيمية وغيره من علماء المسلمين»[٣].

ولقد تجدد الخلاف بين الأشاعرة والحنابلة عامى ٨٣٥هـ/١٤٣١م، و ٨٣٦هـ/١٤٣٢م عندما قدح علاء الدين البخارى[٤] «ت ٨٤١هـ» فى آراء ابن تيمية، وبالغ فى الحط على ابن تيمية، فتعصب جماعة من علماء دمشق لابن تيمية، وصنف الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين[٥] «ت ٨٤٢هـ» مُؤلفًا فى فضل ابن تيمية، وسرد أسماء من أثنى عليه من أهل عصره، فمن بعدهم، على حروف المعجم، وأرسله إلى القاهرة فكتب له عليه غالب علماء مصر بالتصويب وأيدوه، وخالفوا علاء الدين البخارى فى الحط على ابن تيمية، وأصدر السلطان برسباى مرسومًا بالكف عن تلك الأمور، وسكن الأمر[٦].

---

(١) تقى الدين الحصنى: انظر: ص ٣٣٠.

(٢) السلطان برسباى: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ١٠ .

(٣) المقريزى «درر العقود» ح ١ ص ١٨٢.

(٤) علاء الدين البخارى: على بن محمد، من كبار علماء الهند، رحل إلى مصر فى العصر المملوكى، واستقر بها فترة، ثم رحل إلى دمشق، ومكث بها حتى وفاته ٨٤١هـ، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وانتفع علماء مصر والشام بعلمه، انظر: ابن حجر «إنباء الغمر» ح ٩ ص ٢٣.

(٥) شمس الدين ابن ناصر الدين: محمد بن أبى بكر، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، درّسه بدمشق، توفى ٨٤٢هـ، انظر: ابن فهد «لحظ الألحاظ» ص ٣١٧.

(٦) ابن حجر «إنباء الغمر» ح ٨ ص ٢٧٣، مجهول «حوليات دمشقية» ص ٢٢، ابن العماد «شذرات الذهب» ح ٧ ص ٢١١، د. سعود محمد «الحياة الثقافية» ص ٣١٠ وما بعدها .

٥ ـ العلماء والمكتبات

لم تكن المكتبة ـ فى العصر المملوكى ـ مؤسسة علمية قائمة بذاتها، ولكنها كانت تابعة ومساعدة للمؤسسات العلمية القائمة آنذاك، وهى المدارس، والمساجد، والخانقاوات، حيث ألحقت المكتبات بتلك المؤسسات مثل مكتبة المدرسة المحمودية[١]، ومكتبة الجامع الأزهر[٢] ـ بمصر ـ، ومكتبة المدرسة الضيائية[٣]، ومكتبة الجامع الأموى[٤] ـ بدمشق ـ، ومكتبة المدرسة النورية[٥]، ومكتبة جامع منكلى بغا[٦] ـ

---

(١) **المدرسة المحمودية**: أسس هذه المدرسة الأمير محمود بن على الاستادار «ت ٧٩٩هـ»، ووقف عليها مجموعة كبيرة من الكتب، وظلت هذه المدرسة باقية حتى عصر المقريزى «ت ٨٤٥هـ»، وكانت مكتبتها تضم فى العقد الثانى من القرن التاسع «قرابة أربعة آلاف مجلد»، كما ذكر السخاوى «ت ٩٠٢هـ»، انظر: عبد الرحمن سليمان «الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن» ص ١٦٧، د. عبد الوهاب حمودة «صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى» ص ١٠٢.

(٢) **الجامع الأزهر**: أول مسجد أسس بالقاهرة، والذى أنشأه القائد جوهر الصّقْلى، مَوْلى المعز لدين الله بن المنصور بن المهدى الفاطمى، لما اختط القاهرة، واكتمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاث مائة، وكان منارة دينية وعلمية فى عهد المماليك، انظر: المقريزى «المواعظ والاعتبار» ح ٤ ص ٩٠ - ١٠٦.

(٣) **المدرسة الضيائية**: هى المدرسة الضيائية المحمدية، تقع بسفح جبل قاسيون شرقى الجامع المظفرى، بناها الفقيه ضياء الدين محمد، وكان الإنشاء عام ٦٢٠هـ، ولهذه المدرسة خزانة كتب أوقفها مُنشئها ضياء الدين محمد «ت ٦٤٣هـ» على أهل الحديث والفقهاء، انظر: النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ٢ ص ٩١، د. حسن شميسانى «مدارس دمشق فى العصر الأيوبى» ص ١٦٧.

(٤) الجامع الأموى: انظر: ص ٣٥٢.

(٥) **المدرسة النورية**: وقف نور الدين محمود زنكى عام ٥٤٣هـ خزانة كتب على مدرسته النورية بحلب، وجعل لها خازنًا، وكانت هذه الخزانة موجودة فى العصر المملوكى، انظر: د. عبد الرحمن سليمان «الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن» ص ١٠٣.

(٦) **جامع منكلى بغا**: أنشأ هذا الجامع منكلى بغا سنة ٧٦٧هـ، ووقف عليه كتبًا نفيسة، ويُذكر أن الكتب وضعت فى خزائن متقنة محكمة، فيها الصنائع القديمة، انظر: د. عبد الرحمن سليمان «الحياة العلمية» ص ١٠٣.

بحلب[1].

ولقد لعبت المكتبات دورًا هامًا فى تشجيع وتنشيط الحياة العلمية فى العصر المملوكى، حيث أن الكتب لم تكن منتشرة، ولم يكن باستطاعة الكثيرين شراءها نظرًا لارتفاع أثمانها، وقلة عدد الموجود منها، فلقد كانت جميع الكتب مخطوطة تعتمد على النسخ اليدوى، مع غلاء مواد الكتابة من الأوراق، والأقلام، والمداد[2].

ومن هنا كانت المكتبات العون الرئيسى للمدرسين والطلبة فى البحث، والدراسة، والاستزادة من العلم.

ولقد كانت القوى العاملة فى تلك المكتبات ـ فى العصر المملوكى ـ فئات ثلاث، خازن الكتب، وفئة المناولين[3]، وفئة الوراقين[4]، والذى يعنينا ـ فى موضوع البحث ـ الفئة

---

(١) د. أحمد حطيط «قضايا من تاريخ المماليك السياسى والحضارى» ص ٢٢٤، دار الفرات، بيروت، ط ١ (٢٠٠٣م)، د. عدنان محمد «عمارة المدرسة فى مصر والحجاز فى القرن التاسع الهجرى» ص ٣٩٦، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ، د. عبد الرحمن سليمان «الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن» ص ٩٠، د. عادل عبد الحافظ «نيابة حلب» ص ١٩٨، عبد الغنى محمود «التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك» ص ٢٠٤، على محمد «دولة الظاهر برقوق وأسرته فى مصر» ص ٢٣٤، دكتوراة، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢) د. زبيدة محمد عطا «مكتبات المدارس «خزانة الكتب» فى العصرين الأيوبى والمملوكى» ص ٢٠٣، بحث ضمن أبحاث ندوة «المدارس فى مصر الإسلامية» التى عقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية من ٢٢ ـ ٢٥ أبريل ١٩٩١م، وأعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. مجاهد توفيق «الحركة العلمية» ص ٣٥٩، عبد الغنى محمود «التعليم فى مصر» ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) **فئة المناولين**: المناول صاحب وظيفة وسط بين وظيفتى الخازن والفراش فى المكتبة المملوكية، ولا يمكن الاستغناء عنه، فهو مساعد الخازن، ويقوم بإرشاد القراء إلى مواضع الكتب وإحضارها من الخزانة إلى من يرغب منهم فى القراءة أو النسخ وغير ذلك، ثم يقوم بإرجاعها إلى الخزانة أو الرفوف لوضعها فى أماكنها بعد فراغهم منها، انظر: السيد السيد النشار «تاريخ المكتبات فى مصر العصر المملوكى» ص ١٤٥، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، القاهرة.

(٤) **فئة الوراقين**: تضم هذه الفئة النساخ، والخطاطين، والمجلدين وغيرهم ممن اتخذوا الوراقة حرفة لهم، وهذه الفئة هى التى قامت بنسخ التراث العلمى والأدبى وصيانته، فقام النساخ بعمل آلة الطباعة والتصوير =

الأولى وهى خازن الكتب ، حيث كانت هذه الوظيفة قاصرة على العلماء ، فلقد اشترطت غالب الحجج الشرعية[١] فى خازن الكتب أن يكون من أهل العلم ؛ لتكون له دراية بالكتب ، ومعرفة محتوياتها ، حيث يقوم بإرشاد من يطلب منه مساعدته فى اختيار الكتب التى تعينه فى بحثه ودراسته ، فوظيفة خازن الكتب وظيفة تربوية تعليمية توجيهية تهدف إلى تعريف الطلبة تراثهم ، وتوجيههم إلى مصادر المعرفة ، وإعانتهم على تحصيلها ، مع معرفته وتقديره لقيمة الكتب التى يتولى الإشراف عليها ، الأمر الذى يجعله حريصًا على المحافظة عليها وصيانتها[٢] .

ويتأكد ذلك ـ أيضًا ـ بتبع أسماء « خازن الكتب » بالمكتبات المملوكية ، حيث نجد أنه كان هناك حرص من جانب الواقف أو الناظر من بعده على إسناد وظيفة الخازن إلى شخصية علمية ، فقد تولى ـ على سبيل المثال ـ العالم ابن حجر العسقلانى[٣] « ت ٨٥٢هـ » وظيفة خازن الكتب بالمدرسة المحمودية[٤] ، والعالم محمد الجلالى[٥] « ت ٨٦٠هـ » الذى كان خازنًا بالمدرسة ذاتها[٦] ، ونجم الدين الزرعى[٧] « ت ٨٧٦هـ » ،

= فى العصر الحاضر ، وأمدوا المكتبات باحتياجها من الكتب ، انظر : السيد السيد النشار « تاريخ المكتبات فى مصر » ص ١٤٨.

(١) مثل وثيقة السلطان فرج بن برقوق ت (٨١٥هـ) رقم ٦٦ محفظة (١١) ، ووثيقة السلطان قانصوه الغورى برقم (٨٨٣) أوقاف ، انظر : السيد السيد النشار « تاريخ المكتبات » ص ١٣٩، عبد الغنى محمود « التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك » ص ٢٠٨.

(٢) السيد السيد النشار « تاريخ المكتبات » ص ١٣٩، مجاهد توفيق « الحركة العلمية » ص ٣٦٢، عبد الغنى محمود « التعليم فى مصر » ص ٢٠٨، د. زبيدة محمد « مكتبات المدارس فى العصرين الأيوبى والمملوكى » ص ٢٢٠.

(٣) ابن حجر العسقلانى : انظر : ص ٣٣٦.

(٤) د. عصام الدين عبد الرؤوف « السيوطى » ص ١٠٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ، السيد السيد « تاريخ المكتبات » ص ١٩٨.

(٥) محمد الجلالى : محمد بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، وتولى خزانة كتب المحمودية ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٢٢٨.

(٦) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٢٢٨.

(٧) نجم الدين الزرعى : محمد بن عبد الله ، تفقه على شيوخ عصره ، درس بجامع ابن طولون ، وتولى إفتاء دار العدل ، توفى ٨٧٦هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٩٦.

الذى كان خازنًا للكتب بالمدرسة الباسطية[1][2] ، وإبراهيم القلقشندى[3] « ت ٨٩٨هـ » الذى كان خازنًا للكتب بالمدرسة الأشرفية[4] .

ومن علماء دمشق الذين تولوا وظيفة خازن كتب بالمؤسسات العلمية المملوكية ، ناصر الدين محمد[5] « ت ٨٤١هـ » الذى كان خازنًا بمكتبة المدرسة السابقية[6] ، وشمس الدين ابن طولون[7] « ت ٩٥٣هـ » الذى كان خازنًا بمدرسة[8] أبى عمر[9] .

ولقد كانت مهام خازن الكتب ، إرشاد القراء إلى ما يناسبهم من مراجع ، وهذا ما فعله ابن حجر العسقلانى[10] « ت ٨٥٢هـ » ، عندما كان خازنا بمكتبة المدرسة المحمودية ، فقد كان لا يأتيه مستعير كتابًا إلا دلّه عليه ، وفى الدلالة إرشاد وتوجيه ، وهذه الخدمة يمكن أن نطلق عليها ـ بالمصطلح المعاصر ـ « الإرشاد الببليوجرافى »[11] ، كذلك كان من مهام

---

(١) المدرسة الباسطية : أنشأها القاضى عبد الباسط خليل « ولد عام ٧٨٤هـ » عام ٨٢٣هـ ، انظر : عادل شريف «اللوحات التأسيسية» ص ٨٨ ، ٢٢٩ .

(٢) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٩٦.

(٣) إبراهيم القلقشندى : إبراهيم بن على ، تفقه على شيوخ عصره ، درس الحديث ، والتفسير ، ولد ٨٣١هـ ، وتوفى ٨٩٨هـ ، انظر السخاوى « الضوء » ح ١ ص ٧٧.

(٤) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٧٨.

(٥) ناصر الدين محمد : محمد بن سعد ، تفقه على شيوخ عصره ، وكان عالمًا فاضلًا ، تولى خزانة مكتبة المدرسة السابقية ، توفى ٨٤١هـ ، انظر : البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٤٧١.

(٦) البقاعى « عنوان الزمان » ح ٢ ص ٤٧١.

(٧) ابن طولون : محمد بن على ، تفقه على شيوخ عصره و برع فى علوم عدة ، أبرزها الحديث ، درس ، توفى ٩٥٣هـ ، انظر : ابن العماد « شذرات الذهب » ح ٨ ص ٢٩٨ .

(٨) مدرسة أبى عمر : أو المدرسة العمرية ، أنشأها العالم أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة سنة ٥٥٥هـ بمدينة الصالحية ، انظر النعيمى « الدارس فى تاريخ المدارس » ح ٢ ص ١٠٠، ابن طولون « تاريخ الصالحية » ص ٢٤٨، د. قتيبة الشهابى « النقوش الكتابية فى أوابد دمشق ، ص ١٦٧.

(٩) ابن طولون « الفلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون » ص ٢٣، مكتبة القُدسىّ والبُدير ، دمشق ، ١٣٤٨هـ .

(١٠) ابن حجر العسقلانى : انظر : ص ٣٣٦.

(١١) السيد السيد النشار « المكتبات فى العصر المملوكى » ص ٢١٠.

الخازن تنظيم الكتب وترتيبها فى الخزانة، وهذا ما قام به ابن حجر العسقلانى « ت ٨٥٢هـ » ، حيث وضع فهرسًا هجائى بعناوين وأسماء الكتب ، وفهرس آخر بالموضوع وهذا ييسر الوصول إلى الكتب بسرعة من جانب المستفيدين[١] ، وكان من مهامه ـ أيضًا ـ الحفاظ على محتويات المكتبة ، فيتعهد الكتب من حين لآخر ، ويصلح ما أصابها من تلف ، ولا يعيرها[٢] إلا لمن ليس قادرًا على اقتنائها[٣] .

(١) السيد السيد النشار « تاريخ المكتبات » ص ١٧٨، د. عصام الدين عبد الرؤوف « السيوطى » ص ١٠٨.

(٢) كانت الاستعارة فى المكتبات المملوكية نوعان ، استعارة داخلية لطلبة العلم والمدرسين القاطنين بالمؤسسة العلمية ، حتى ينهلوا مما تحتويه مكتبة المؤسسة العلمية من ذخائر الكتب ، وكان هناك الاستعارة الخارجية ، وكانت تلك الاستعارة مرهونة بشروط منها أن يقدم فى الاستعارة الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء ، كما كان يشترط كثير من الواقفين ألا يخرج الكتاب إلا برهن ، ولقد ألّف جلال الدين السيوطى « ت ٩١١هـ » رسالة بعنوان « بذل المجهود فى خزانة محمود » كتبها عام ٨٦٧هـ ، حاول فيها أن يجد مفرًا من شروط الواقفين الذين كانوا يشترطون منع إخراج الكتب الموقوفة من المكتبة ، انظر : د. على السيد « القدس فى العصر المملوكى » ص ١٧٠، السيد السيد « تاريخ المكتبات » ص ٢٠٨، د. زبيدة محمد « مكتبات المدارس » ص ٢٢١.

(٣) د. أحمد حطيط « قضايا فى تاريخ المماليك » ص ٢٢٤، د. على السيد « القدس فى العصر المملوكى » ص ١٧٠، د. أحمد حطيط « التعليم بدمشق » ص ٣٥١، السيد السيد « تاريخ المكتبات » ص ١٣٨، مجاهد توفيق « الحركة العلمية » ص ٣٦٤.

obeikandl.com

« الخاتمة والنتائج والتوصيات »

لقد انتهت هذه الدراسة إلى إثبات ما افترضه الباحث فى مقدمة دراسته بشأن ماهية الدور الذى قام به علماء مصر والشام فى المجتمع المصرى والشامى ، كما انتهت إلى جملة من النتائج تخالف ما استقر لدى كثير من الباحثين من آراء عن هامشية وسلبية الدور الذى قام به علماء مصر والشام إبان العصر المملوكى ، وأخيرًا طرحت تساؤلين تولدا عن البحث حول ما استقر عليه العلماء بشأن مسألة التغلب كآلية للوصول إلى الحكم وموقف العلماء من ذلك ، وكذا ما استقر عليه العلماء بشأن كيفية التعامل مع انحراف السلطة المملوكية فى أداء مهامها وواجباتها المنوطة بها .

أولًا بشأن ماهية الدور الذى قام به علماء مصر والشام فى المجتمع المصرى والشامى فى العصر المملوكى ـ القرن التاسع الهجرى ـ ، فلقد أثبتت الدراسة ـ بفصولها ومباحثها ـ أن ماهية الدور الذى قام به علماء مصر والشام هى فى جوهرها حمل الرسالة التى بعث الله بها نبيه سيدنا محمد ﷺ ، أى الإسلام ـ والذى يعنى الاعتقادات والعبادات والمعاملات شخصية كانت أو جماعية ، سياسية أو اقتصادية ... إلخ ، كما أنه هو الذى ينظم العلاقة بين عناصر المجتمع الإسلامى « السلطة الحاكمة ، العلماء « أهل الحل والعقد » ، الرعية » ، وهو مصدر الولاء والانتماء ووحدة المجتمع وتماسكه ، وهو كذلك الضابط الاجتماعى لذلك المجتمع الذى به ينتظم سلوك المجتمع المسلم وتصرفاته الاجتماعية إزاء مواقف الحياة المختلفة ، فضلًا عن أنه الوازع الذى يدفع عناصر المجتمع الإسلامى بعضها عن بعض .

والإسلام بالمعنى السابق الذكر ذو تأثير اجتماعى كبير فى المجتمع المسلم ، ومن هنا كان توصيف دور علماء مصر والشام بتلك الصفة دون غيرها من الصفات ، تلك الصفة التى هى ثمرة تطبيق المجتمع المسلم مبادئ الإسلام ، والتى يحملها ويحرسها ويحميها العلماء ، حيث امتد هذا الدور ـ بالمعنى السابق ـ ليشمل جوانب الحياة المختلفة بمصر والشام ـ « السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والدينية ، والفكرية » ـ .

أمّا عن أهم النتائج التى انتهت إليها هذه الدراسة ، فهى ما يلى :

(١) إن علماء مصر والشام مارسوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تجاه السلطة المملوكية ، حيث جاهدوا تلك السلطة بلسانهم لإزالة المظالم المالية التى فرضوها على المصريين والشاميين ، كذا جهادهم لإقصاء الإداريين الذين عانى المصريين والشاميين من ظلمهم وسوء إدارتهم ، كما شارك العلماء المصريين والشاميين ثوراتهم ضد الولاة والنواب الجائرين .

(٢) لقد جاهد وناضل علماء مصر والشام لدفع الأخطار الخارجية التى هددت أمن المجتمع المصرى والشامى ، والتى كان أهمها « المغول ، الصليبيون ، التركمان » ، حيث قاموا بتعبئة المصريين والشاميين للإنضمام إلى صفوف الجيش المملوكى لصد تلك الأخطار ، وخرجوا بأنفسهم مع الجيش المملوكى للقتال ضد أعداء البلاد ، ورابطوا بالثغور لصد غارات الصليبيين .

(٣) شارك علماء مصر والشام فى الجهاز الإدارى للدولة المملوكية ، حيث شغلوا الولايات الدينية من قضاء ، وحسبة ، ووكالة بيت المال ، وقضاء العسكر ، ونظر البيمارستان ، كما شغلوا بعض الولايات الديوانية ، ككتابة السر ، ونظر الجيش ، وأبدوا كفاءة ملحوظة فى القيام بأعباء تلك الولايات جميعها .

(٤) كان لعلماء مصر والشام دور لضبط حرية المجتمع « حكام ـ محكومين » فى ممارسة النشاط الاقتصادى وجعله منضبط بمطلوب الشرع ، حيث كانت لهم جهودهم فى تنظيم المعاملات المالية والاقتصادية للمصريين والشاميين ، كما قدموا الآراء والأفكار الرائدة فى الاقتصاد لإصلاح أحوال المجتمع الاقتصادية ، وكذا آرائهم حول أحكام بيت المال « موارده ـ مصارفه » فى الشرع الحنيف من ناحية ، ومدى التزام أو مخالفة السلطة المملوكية لتلك الأحكام من ناحية أخرى ، كما كانت لهم جهودهم فى تنمية الحياة الاقتصادية وتطويرها ، كما حدث ـ على سبيل المثال ـ فى تثمير أموال الأوقاف ، وإصلاح العملة ، وضبط الأسواق .

(٥) كان لعلماء مصر والشام دور فى تنقية المجتمع المصرى والشامى من الأمراض

الاجتماعية الخبيثة والرذائل الأخلاقية ، كتعاطى الخمر والحشيش ، وممارسة البغاء والشذوذ الجنسى .

(٦) كان لعلماء مصر والشام دور فى تخفيف ما عاناه المصريين والشاميين من الفقر والحرمان فى ظل الدولة المملوكية ، حيث إنهم قاموا ـ من خلال ولايتهم للقضاء ـ بحفظ أصول الأوقاف وعمّروها وثمرّوا أموالها ، مما عاد بعظيم النفع على الفقراء والمساكين المستفيد الكبير من ريع تلك الأوقاف ، كما قام العلماء بأنفسهم برعاية الفقراء وسد حوائجهم من طعام وكساء وغير ذلك ، كما قاموا بتوزيع أموال الأغنياء ـ نيابة عنهم ـ على الفقراء ، وحثّوا الأغنياء على الإنفاق على الفقراء .

(٧) ساهم علماء مصر والشام فى حركة العمران ، حيث أنشأوا المدارس والمساجد ، والزوايا ، والخانات ، والسبل ، وأبراج المرابطة .

(٨) تصدى علماء مصر والشام بحزم للطوائف المنحرفة التى حاولت القدح فى الإسلام وثوابته ، كمبتدعة الصوفية ، والزنادقة ، وغلاة الشيعة .

(٩) حارب علماء مصر والشام البدع التى عانى منها المجتمع المصرى والشامى ، كالاعتقاد فى التنجيم والسحر ، والجان ، والبدع المرتبطة بالقبور ، والتى كان منها شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، والتشفع لهم ، والنذر على قبورهم .

(١٠) عقد علماء مصر والشام المجالس الدينية بالمساجد لنصح ووعظ المصريين والشاميين ، وتعليمهم أمور دينهم ، كما قاموا بوعظ السلطة المملوكية ، وحثها على العدل مع الرعية ، وحفظ أموال المسلمين ، وتتبع أحوال النواب وأخبارهم ، وتجنب مجالس اللهو ، ومعرفة أمور الرعية قليلها وكثيرها .

(١١) تصدى علماء مصر والشام بشكل حازم للمحاولات التى قام بها أهل الذمة بإقامة بعض الأبنية المحدثة بكنائسهم ، مخلفين بذلك حكم الإسلام فى ذلك الأمر ، كما حاربوا مشاركة أهل الذمة فى الجهاز الإدارى للدولة .

(١٢) شارك علماء مصر والشام مشاركة فاعلة فى الحركة الفكرية فى القرن التاسع ، وكان لهم دور فى تنميتها وإثراء جوانبها ، حيث درسوا العلوم الدينية كالقراءات ،

والتفسير ، والفقه ، والحديث ، كما صنّفوا المؤلفات العلمية الرصينة فى تلك العلوم .

أمّا التساؤلان اللذان تولدا عن البحث ، فبالنسبة للتساؤل الأول ، وهو ما استقر عليه علماء مصر والشام بشأن مسألة التغلب كآلية للوصول إلى الحكم وموقف العلماء من ذلك ؟

إن السلطة الحاكمة ، وهى السلطة المملوكية ـ فى الدراسة ـ قامت واستمر تداول السلطة فيها على مبدأ القهر والتغلب والقوة ، فالنظام المملوكى هو نظام عسكرى يستمد قوته الحقيقية من الأرستقراطية الحربية التى أوصلته إلى الحكم ، والسلطان فى ذلك النظام لا يخرج عن كونه أميرًا مميزًا بين الأمراء مكنته قوته وكثرة مماليكه وتحالف الأمراء معه من التفوق على أقرانه والوصول إلى منصب السلطنة ؛ ولذلك كان هذا السلطان بمجرد وصوله لكرسى الحكم يغدق الأموال والمناصب الإدارية الكبرى بالدولة على حلفائه الذين ساندوه للوصول إلى كرسى الحكم ، وأنه لما كان التصور الإسلامى يرى أن الكيفية التى يتم بها تأسيس السلطة وتداولها يقوم على الشورى ، فكان إهدار قيمة الشورى بالمجتمع المسلم ينجم عنه خرقًا كبيرًا بذلك المجتمع ، وسلبيات كثيرة يجنيها ذلك المجتمع ـ ككل ـ ، حيث هناك علاقة وثيقة بين الكيفية التى يتم بها تأسيس السلطة وتداولها ـ فى المفهوم الإسلامى ـ وبين طبيعة ممارساتها لواجباتها ـ والتى هى فى جوهرها حراسة الدين وتطبيق مبادئه ـ ، حيث لا يتصور أن الحاكم المتغلب الذى وصل إلى السلطة بالغلبة والقهر مهدرًا مبدأ الشورى الذى أوجبه الإسلام هو نفسه الذى سيمارس واجباته كما حددها الإسلام .

وهذا التصور العقلى والمنطقى أثبته الواقع التاريخى فى العصر المملوكى ، فقد كانت السلطة المملوكية لا يعنيها من شؤون رعيتها أكثر من جمع الأموال سواء باستنزاف ثروات البلاد التى تحكمها ، أو باستنزاف أموال هؤلاء الرعية فضلًا أن منطق القوة الذى قامت عليه السلطة المملوكية أغرى أعضاء تلك السلطة للإنقلاب على قائدهم الأعلى طمعًا فى الغنائم التى يتمتع بها والتى تفوقهم بالطبع ، فتُدبر المكائد والانقلابات وتُثار الفتن والقلاقل ، ويتقاتل هؤلاء المماليك مع بعضهم البعض .

ولقد طرح علماء مصر والشام إزاء مسألة التغلب والقوة كآلية لوصول المماليك إلى

السلطة والحكم اجتهاد فقهى ، مضمونه أنه إذا كانت الشورى هى السبيل الشرعى لتداول السلطة فى الإسلام ، لكن الواقع التاريخى عقب عهد الراشدين عرف نظام ولاية العهد ـ الذى يعتبر افتئاتًا على حق الرعية فى اختيار حاكمها ، وترسيخًا لمبدأ القوة والتغلب كسبيل لتداول السلطة ـ ، فرأى العلماء الاعتراف بتلك السلطة المتغلبة استنادًا لمبدأ الضرورة ـ التى أوضحها الفقهاء بأنها تُلْجِأ إلى المحظور وتجعله مباحًا ـ ، حيث أن الخروج على المستولى بالسلطة بالقوة ، وعدم الاعتراف بولايتها سيؤدى إلى كثرة الفتن وسفك الدماء ، وتلك مفاسد يجب درئها سواء بارتكاب أخف الضررين ، أو بتفويت مصلحة مقابل درء مفسدة . وهذا الاجتهاد الفقهى الذى طرحه العلماء إزاء مسألة التغلب أغفل العلاقة الوثيقة بين الكيفية التى يتم بها تأسيس السلطة وتداولها وبين طبيعة ممارسة تلك السلطة لواجباتها ـ والتى هى فى جوهرها حراسة الدين وتطبيق مبادئه ، حيث إن وصول سلطة متغلبة إلى الحكم فى المجتمع المسلم سينعكس بشكل مباشر على طبيعة أدائها السياسى وطبيعة ممارساتها لوظائفها والتى ستكون مخالفة بشكل كبير لما أراده الإسلام منها ـ أى من تلك السلطة ، وهذا ما حدث تاريخيًا بشأن السلطة المملوكية ، وهنا يُثار تساؤلًا عن صحة وواقعية الاجتهاد الذى طرحه العلماء إزاء مسألة التغلب والقوة كآلية للوصول إلى السلطة ، والاعتراف بتلك السلطة المتغلبة استنادًا لمبدأ الضرورة ؟!! .

أمّا بالنسبة للتساؤل الثانى ، وهو ما استقر عليه علماء مصر والشام بشأن كيفية التعامل مع انحراف السلطة المملوكية فى أداء مهامها وواجباتها المنوطة بها ؟

إن القيام بمبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » كان هو الآلية التى قام بها العلماء إزاء انحراف السلطة المملوكية فى أداء مهامها وواجباتها المنوطة بها ، ولقد اتخذ قيام العلماء بهذا المبدأ ثلاثة أشكال ، أولها جهاد السلطة باللسان ، وهو يمثل الجانب الأكبر من ممارسة العلماء لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ ، ولقد أثمر ثمارًا طيبة أوضحها الباحث فى دراسته ، ولقد عضدّ العلماء فى القيام بهذا الجهاد باللسان المصريين والشاميين ، حيث كانوا ظهيرًا وسندًا قويًا تترس به العلماء وهم يأمرون السلطة المملوكية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ كما أوضحت الدراسة ـ ، أما الشكل الثانى فهو الدعوة والمشاركة فى ثورات المصريين والشاميين ضد السلطة الحاكمة لكفها عن مظالمها وجبروتها الذى كان يزداد حدته

فى أحيان غير قليلة ، فكانت ثورات المصريين والشاميين رد فعل مناسب وفعال إزاء ذلك الظلم ، غير أن هذه الثورات التى قام بها المصريين والشاميين سواء كانت بدعوة العلماء لها ، أو مشاركة العلماء فيها بعد قيامها وتأجيج شعلتها كانت محدودة ، أما الشكل الثالث فتمثل فى دعوة العلماء ومشاركتهم لخلع السلطان المملوكى عندما يبلغ من الجور والفسق حدًا لا يمكن الصبر عليه أو السكوت عنه ، حيث رأى فريق من علماء مصر والشام ـ وليس غالبية علماء مصر والشام ـ أن السلطان عندما يُسرف فى الظلم ويتجاهر بالمعاصى يجب عزله ، ولكن ذلك يكون من خلال الاستعانة بـ « أهل الشوكة » أولئك الذين يملكون مقومات القوة العسكرية فى تلك الدولة حتى يتيسر لهم خلع السلطان دون إراقة الكثير من الدماء ، وهذا ما ظهر فى خلع السلطان فرج بن برقوق عام ٨١٥هـ .

ويظهر مما سبق أن غالب علماء مصر والشام كانوا ينتمون لمدرسة الصبر التى لا تجيز الخروج على السلطة الحاكمة الجائرة بالقوة « اليد » ، وأنه يجب الصبر على تلك السلطة الجائرة ، وذلك خوفًا من الفتن ، وأن معارضة الحاكم الجائر تقتصر على اللسان فقط ، كما ظهر فى أدبياتهم السياسية والواقع التاريخى فى القرن التاسع ، أما أنصار « مدرسة التمكن » من علماء مصر والشام فكانوا قليل وهم الذين يرون أن الخروج على السلطة الجائرة بالقوة « اليد » والثورة عليها أمر جائز شرعًا ، بل هو أمر واجب ، ولكن بشرط الموازنة بين المصالح والمفاسد عند الخروج على السلطة الجائرة ، وامتلاك الثائرين القوة والقدرة إزاء السلطة الجائرة .

وهنا يثار تساؤلًا هل كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « الجهاد باللسان » فقط ـ مذهب مدرسة الصبر ـ هو السبيل الصحيح والفعال فى تقويم الأداء السياسى للسلطة المملوكية ، وجعلها تقوم بوظائفها المنوطة بها شرعًا(*) ؟!!.

(*) نعم استطاع الجهاد باللسان فقط « مذهب مدرسة الصبر » تقويم أداء السلطة السياسى وجعلها تقوم بوظائفها المنوطة بها شرعًا أحيانًا ، ولكنه فشل فى تحقيق ذلك أحيان غير قليلة ، حيث كان المجتمع المصرى والشامى فى جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية فى العصر المملوكى ملئ بالسلبيات والتى رصدتها الدراسة فى فصولها ومباحثها .

وأخيرًا فإن ضياع قيمة الشورى فى تأسيس السلطة الحاكمة بالمجتمع المسلم ، ثم ضياعها ـ بالطبع ـ من قبل تلك السلطة التى اغتصبت الحكم بالقوة هو مسؤولية العلماء والرّعية على السواء ، فالعلماء واجبهم توعية الرعية بأهمية قيمة الشورى ، وعدم التخاذل فى الدفاع عنها ، والرعية عليها الاستجابة والطاعة التامة للعلماء فى ذلك الشأن الخطير ، فالشورى هى مسؤولية المجتمع المسلم كافة ، وضياعها ليس مسؤولية حاكم فرد مهما بلغ طغيانه ، فلقد أنحى القرآن الكريم باللائمة على قوم فرعون الذين قبلوا الطاعة له مع تجبره عليهم ، واستخفافه بهم ، قال تعالى : ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف : ٥٤] ، فالمجتمع الذى يقبل التبعية للكبراء مجتمع هالك لا محالة لأنه يفتقد تلك القوة المعنوية التى تُشعر الفرد بعزته وكرامته ، وتعين المجتمع على تخطى الخطوب والنوازل[1] .

(١) د. الطيب زين العابدين « خصائص الشورى الإسلامية فى المجتمع المعاصر » ص ٧٧، حولية الجامعة الإسلامية ، إسلام آباد ، عدد (١) ١٩٩٣م .